حُسْنُ المُحَاضَرَةِ

فِي

المَذَاهِبِ وَالتَّيَّارَاتِ المُعَاصِرَةِ

فيه مقدمات وأساليب نشر الأفكار والمذاهب الفكرية

تَأْلِيفُ

الدُّكْتُورِ طَارِقِ بْنِ سَعِيدٍ القَحْطَانِيِّ

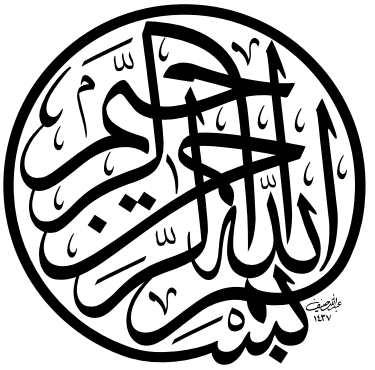
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ سيِّدُ الأولين والآخرين، والمبعوثُ رحمةً للعالمين، وخاتمُ الأنبياء والمرسلين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمّا بعد:

هذا كتاب أوجزته للطلاب في مادة المذاهب والتيارات الفكرية (المستوى الأول)، وأومأت فيه إلى المختصر المفيد في موضوعه، بعيدًا عن الحشو والإسهاب، والهدف من ورائه التسهيل والتخفيف.

واللهَ أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن ينفع به، فهو وليّي، نعم المولى ونعم النصير.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

خطة البحث

وضعت خطة البحث متوافقةً مع توصيف المقرر على النحو الآتي:

الباب الأول: مقدماتٌ في المذاهب المعاصرة، وأسباب نشأتها، وتاريخها، وآثارها السيئة، والمؤلفات المعاصرة فيها.

الفصل الأول: التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة، وسبب تسميتها.

المبحث الأول: التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة.

المبحث الثاني: سبب التسمية.

الفصل الثاني: أسباب نشأة المذاهب والتيارات المعاصرة.

الفصل الثالث: تاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي وأسباب ذلك، وأهم المؤلفات في دراستها.

المبحث الأول: تاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي وأسباب ذلك.

المبحث الثاني: أهم المؤلفات في دراسة المذاهب والتيارات الفكرية.

الفصل الرابع: الآثار السيئة للمذاهب الفكرية والتيارات المعاصرة.

الباب الثاني: الأساليب المعاصرة في نشر الأفكار والمذاهب المخالفة للإسلام.

الفصل الأول: الغزو الفكري.

المبحث الأول: مفهوم الغزو الفكري.

المبحث الثاني: أهداف الغزو الفكري، ومظاهره، ومجالاته.

المطلب الأول: أهداف الغزو الفكري.

المطلب الثاني: مظاهر الغزو الفكري.

المطلب الثالث: مجالات الغزو الفكري.

المبحث الثالث: وسائل الغزو الفكري، وأدواته.

المبحث الرابع: آثار الغزو الفكري، وخطورته.

المبحث الخامس: سبل مواجهة الغزو الفكري.

الفصل الثاني: التنصير.

المبحث الأول: مفهوم التنصير وصلته بالاحتلال.

المبحث الثاني: تاريخ التنصير وأهدافه.

المبحث الثالث: وسائل التنصير القديمة والمعاصرة، ومجالات المنصِّرين.

المبحث الرابع: واقع التنصير في دول العالم الإسلامي.

المبحث الخامس: سبل مواجهة التنصير المعاصر.

الفصل الثالث: الاستشراق.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق، ونشأته، وأشهر رجاله.

المبحث الثاني: أهداف الاستشراق.

المبحث الثالث: وسائل الاستشراق المعاصر، ومراكزه.

المبحث الرابع: نماذج من افتراءات المستشرقين، والرد عليها.

المبحث الخامس: سبل مواجهة الاستشراق المعاصر.

الفصل الرابع: التغريب.

المبحث الأول: مفهوم التغريب ونشأته، وأهدافه، ووسائله.

المبحث الثاني: نماذج من صور التغريب المعاصرة في العالم الإسلامي، والرد عليها.

المبحث الثالث: موقف التغريبيين من قضايا المرأة المسلمة.

المبحث الرابع: سبل مواجهة التغريب.

الباب الأول

مقدمات في المذاهب المعاصرة وأسباب نشأتها وتاريخها وآثارها السيئة والمؤلفات المعاصرة فيها.

وفيه أربعة فصول:

- **الفصل الأول**: التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة، وسبب تسميتها.
- **الفصل الثاني**: أسباب نشأة المذاهب والتيارات المعاصرة.
- **الفصل الثالث**: تاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي وأسباب ذلك، والمؤلفات في دراستها.
- **الفصل الرابع**: الآثار السيئة للمذاهب الفكرية والتيارات المعاصرة.

الفصل الأول

التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة، وسبب تسميتها.

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة.
- **المبحث الثاني**: سبب التسمية.

المبحث الأول: التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة.

أولا: تعريف المذاهب

لغةً: الذَّهابُ: السَّيرُ والمُرُورُ؛ ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهابًا وذُهوبًا فَهُوَ ذاهِبٌ وذَهُوبٌ. والمَذْهَبُ: مَصْدَرٌ، كالذَّهابِ. وذَهَبَ بِهِ، وأَذهَبَه غَيْرُهُ: أَزالَه. وَيُقَالُ: أَذْهَبَ به، وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنَ الذَّهابِ.

والمَذْهَبُ: المُعْتَقَد الَّذِي يُذْهَبُ إِليه؛ وذَهَب فلانٌ لِذَهَبِه أَي لمَذْهَبِه الَّذِي يَذْهَبُ فِيهِ[١]. و«ذَهَبَ مَذْهَبَ فُلَانٍ، قَصَدَ قَصْدَهُ وَطَرِيقَتَهُ، وَذَهَبَ فِي الدِّينِ مَذْهَبًا رَأَى فِيهِ رَأْيًا»[٢].

اصطلاحًا: ما يذهب إليه الشخص ويعتقده صوابًا، سواء أكان حقًّا أو كان خطأً، فهي تختلف باختلاف مصادرها، وباختلاف مفاهيم الناس لها من دينية وغير دينية[٣].

أو هي: مجموعة المفاهيم والاتجاهات والحلول والتفسيرات العقلية البشرية، بهدف إعادة البناء الفكري، بعيدًا عن التأصيل الديني المستند على الوحي.

ثانيًا: تعريف التيارات

لغة: من التَّيَّار، وهو: الموج شديد الجريان، يقال: «البَحْرُ ذُو التَّيّارِ، لَا يَتَغَضْغَضُ»[٤] ويقال: «خَمِطُ التيار يرمي بالقلع»[٥].

وأما **تعريف التيارات الفكرية**، فهي: الحركة الفكرية ذات الاتجاه المعين، وهي بمعنى: اتجاه فكري[٦].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٦/ ١٤٣)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص٣٦١)، ولسان العرب (١/ ٣٩٤).

(٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢١١).

(٣) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، د. غالب عواجي (١/ ٤١).

(٤) العين (٤/ ٢٢٧)، وتهذيب اللغة (٧/ ١١٨).

(٥) لسان العرب (٧/ ١٩٨).

(٦) ينظر: جهود العلماء والباحثين في المملكة العربية السعودية، د. حمود بن عبد الله الصقعبي (ص٢٤).

المبحث الثاني: سبب التسمية.

إن سبب تسميتها مذاهب فكرية، أو نسبتها إلى الفكر، يرجع إلى أنها من نتاج العقل، وليس من الوحي الإلهي[١].

(١) ينظر: المذاهب الفكرية، د. غالب عواجي (١/ ٤٦).

الفصل الأول

أسباب نشأة المذاهب والتيارات المعاصرة.

إن سبيل معرفة أسباب نشأة المذاهب الفكرية المعاصرة يتوقف على معرفة المنشأ والموطن الذي ظهرت فيه، وهو الغرب النصراني، وقد اجتمعت أسباب كثيرة، منها:

السبب الأول: متعلق بالديانة النصرانية المحرفة التي يعتنقها الغرب، ففيه الكثير من التساؤلات التي تخالف الفطرة والعقل.

السبب الثاني: متعلق بسلطة الكنيسة وطغيانها، ولها مظاهر متعددة، من أهمها:

١- منع الاتصال المباشر بين العبد وربه، فتحكموا فيه، وجعلوه بواسطة الكنيسة ورجالها.

٢- تعطيل إعمال العقل في مجاله، ففرضوا أسرارًا لا يمكن أن تُقبل عقلًا ولا فطرةً؛ كقولهم بالتثليث، وغيره.

٣- استحواذ رجال الكنيسة على المال، وأخذهم له من الناس باسم الدين.

٤- فرض الوصاية السياسية على الملوك والأمراء[1].

(١) ينظر: المذاهب الفكرية، د. غالب عواجي (١/ ٥٨-٧٠)؛ والوجيز في المذاهب الفكرية، د. أحمد الخلف (ص١٤-٢٣)؛ ودراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، (ص٧-٩).

الفصل الثالث

تاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي، وأسباب ذلك، والمؤلفات في دراستها.

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: تاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي وأسباب ذلك.
- **المبحث الثاني**: أهم المؤلفات في دراسة المذاهب والتيارات الفكرية.

المبحث الأول: تاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي، وأسباب ذلك.

لا يمكن تحديد تاريخٍ دقيقٍ لدخول هذه التيارات والمذاهب إلى العالم الإسلامي، لكن يمكن أن يقال: إنّ تسرب هذه الأفكار والمذاهب إلى العالم الإسلامي كان بعد موجة سيطرة الغرب على العالم، واتصالهم ببلاد المسلمين، سواء بالاحتلال المباشر، أو بالهيمنة والنفوذ، وكان هذا التسرب لتلك الأفكار والمذاهب الغربية عبر طريقين:

الأول: عن طريق سطوة المتغلب على الشعوب المغلوبة، بأدوات وحيل متنوعة، منها: الغزو الفكري.

الثاني: عن طريق التسرّب التلقائي، الناشئ من تقليد المغلوب للغالب.

قبل الكلام عن موضوع دخول المذاهب الفكرية على المسلمين لا بد من معرفة الأسباب التي سهّلت ذلك، وهي على النحو الآتي:

١- تفريط المسلمين في اتباع الكتاب والسنة بفهم الصحابة والسلف الصالح، وهو أهم وسيلة للنجاة، وتحقيق النصر والقوة، وكان نتيجة ذلك ظهور البدع وأنصارها وتغلبهم، فأصبحت الاعتقادات السائدة في بلاد المسلمين، هي: العقائد الكلامية المندمجة مع التصوف، فظهرت مظاهر الشرك والانحرافات في جانب التوحيد العلمي، ممثَّلةً بتأويلِ أو تعطيلِ الصفات، وفي جانب التوحيد العملي، ممثَّلةً بوقوع ما يناقضه أو ينقصه.

فلا سبيل للإصلاح إلا بتذكير الناس بالتوحيد المؤثِّر الذي جاءت به رسالات الأنبياء ﷺ، وإبراز أثره الذي يستقرّ به القلب، وتسكن إليه النفوس؛ لأن سنة الله ﷻ تأبى إلا أن ينصرَ من ينصرُ دينه ويقيمُه؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

٢- نتيجة لتفريط وانحراف المسلمين -كما تقدم في السبب السابق- ظهر سبب آخر، وهو جهل المسلمين بحقيقة هذه المذاهب الفكرية.

٣- ضعف المسلمين، وجهلهم، وتخلفهم علميًّا وصناعيًّا.

٤- احتلال الغرب لبلاد المسلمين، وتمكينه لمن يخدم مصالحهم فيها.

٥- نشاط أعداء الإسلام في إفساد المسلمين، وبذلهم المال لهم وتحبيبهم لحَيَاتهم، وبث الدعايات والشبهات ضد الإسلام.

٦- الضعف النفسي الذي أصاب المسلمين[١].

(١) ينظر: المذاهب الفكرية، د. غالب عواجي (١/ ٧١-٧٤)؛ ودراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة (ص١٠-١١).

المبحث الثاني: أهم المؤلفات في دراسة المذاهب والتيارات الفكرية.

لا شك أنّ التأليف في دراسة هذه المذاهب الفكرية الوافدة والرد عليها يعد من الجهود المبذولة في صدها ومكافحتها وإظهار عوارها، ولا يسعني الإحاطة بكل تلك المؤلفات، ولكن أذكر ما يلي:

١- **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، د. غالب بن علي عواجي ﷾.

٢- **الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف المسلم منها**، د. جمعة الخولي.

٣- **مذاهب فكرية معاصرة – عرض ونقد**، أ. د. محمود محمد مزروعة.

٤- **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها**، د. عبد الرحمن عميرة.

٥- **المذاهب الفكرية المعاصرة – نشأتها، ومنطلقاتها الفكرية**، د. أحمد بن علي عبد العال.

٦- **بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات**، د. محمد مجاهد نور الدين.

٧- **المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة**، د. عيسى بن عبد الله السعدي.

٨- **جهود العلماء والباحثين في المملكة العربية السعودية في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة – دراسة تحليلية في الفترة (من ١٤٠٠هـ وحتى ١٤٣٣هـ)**، د. حمد بن عبد الله الصقعبي.

٩- **الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة – عرض ونقد**، د. أحمد بن عبد العزيز الخلف.

١٠- **دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة**، أ. د. ناصر بن عبد الله القفاري.

الفصل الرابع

الآثار السيئة للمذاهب الفكرية والتيارات المعاصرة.

يمكن إجمال هذه الآثار السيئة عبر النقاط الآتية:

١- عدم تطبيق الشريعة الإسلامية في كثير من بلاد المسلمين.

٢- ظهور وانتشار المنكرات، والفساد الأخلاقي والقِيَّمي.

٣- نشر الأفكار النَّسَويَّة، ودعوى تحرير المرأة، والمطالبة بالمساوية المطلقة بين الرجل والمرأة.

٤- تفكّك الأسر، وقطع الأرحام.

هذا باختصار، ولعل فيما سيأتي في الباب الثاني عن الغزو الفكري، والاستشراق، والتنصير، والتغريب، ما يبين ويشير إلى تفصيلاتٍ لآثار هذه المذاهب السيئة.

الباب الثاني

الأساليب المعاصرة في نشر الأفكار والمذاهب المخالفة للإسلام.

وفيه أربعة فصول:

- **الفصل الأول**: الغزو الفكري.
- **الفصل الثاني**: التنصير.
- **الفصل الثالث**: الاستشراق.
- **الفصل الرابع**: التغريب

الفصل الأول

الغزو الفكري.

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول**: مفهوم الغزو الفكري.
- **المبحث الثاني**: أهداف الغزو الفكري، ومظاهره، ومجالاته.
- **المبحث الثالث**: وسائل الغزو الفكري، وأدواته.
- **المبحث الرابع**: آثار الغزو الفكري، وخطورته.
- **المبحث الخامس**: سبل مواجهة الغزو الفكري.

المبحث الأول: مفهوم الغزو الفكري.

اصطلاحًا: تأثير فكري وثقافي تنشره الأمة المتغلبة؛ للسيطرة والتأثير في أفكار وعقائد الأمة المغلوبة.

سُئل الشيخ ابن باز ﷺ في حوار بمجلة البحوث الإسلامية العدد (٨) (ص٢٨٦-٢٩٣) بما نصه: «ما هو تعريف الغزو الفكري في رأيكم؟» فأجاب بقوله: «الغزو الفكري هو مصطلح حديث، يعني: مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها، حتى تتجه وجهة معينة، وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية، وسلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المَغزُوَّة، ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضةَ الفكر والإحساس، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه.

وهو داء عضال يفتك بالأمم، ويُذهب شخصيتها، ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها، والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها، ولا تدري عنه، ولذلك يصبح علاجها أمرًا صعبًا، وإفهامها سبيل الرشد شيئًا عسيرًا»[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٣/ ٣٣٨).

المبحث الثاني: أهداف الغزو الفكري، ومظاهره، ومجالاته.

المطلب الأول: أهداف الغزو الفكري.

لا شك أن المجتمعات الإسلامية في هذا العصر تواجه أقوى هجمة من أعدائها، ومن أهم السبل في مواجهتهم أن نعرف الأهداف التي يسعون لتحقيقها، ولعل من أهمها ما يلي:

١- القضاء على الإسلام وهوية المسلمين بنزعهم عن دينهم؛ لأن التمسك بالدين هو سبب القوة والعزة لأمة الإسلام.

٢- منع انتشار الإسلام.

٣- أهداف مالية واقتصادية تضاف إلى الأسباب العقدية وتجتمع معها وتخدمها، كنهب الخيرات والثروات.

المطلب الثاني: مظاهر الغزو الفكري.

ظهر الغزو الفكري بمظاهر متنوعة تصب أغلبها في قطع الصلة بالوحي، أذكر بعضًا منها على النحو الآتي:

١- مظهر أن القرآن الكريم ليس من عند الله، وإنما هو من عند النبي ﷺ[(١)].

٢- مظهر التشكيك في جمع القرآن[(٢)].

٣- مظهر أن النبي ﷺ بشر، وأنه منتحل لأديان سابقة، أو عبر التكذيب بقصة الخلق التي وردت في كتب أهل الكتاب، وجاءت في القرآن، كما فعلت نظرية (داروين)، التي أبطلتها.

٤- مظهر أن النبي ﷺ اجتهد اجتهادًا خاصًا غيرَ ملزمٍ لغيره.

---

(١) ينظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام -القسم الأول، د. علي عبد الحليم محمود (ص٢٦)، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود؛ ودراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة (ص١٨).

(٢) ينظر للاستزادة: موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام، د. محمد بن حجر القرني (ص٣٥١).

٥- مظهر إعادة قراءة السيرة على ضوء الدراسات الغربية النقدية، وتأويلها بما يوافق أهواءهم.

٦- مظهر أن النبي ﷺ لم ينجح في دعوته بجمعهم على عقيدة واحدة، وإنما نجح سياسيًّا.

٧- مظهر أن الرسول ﷺ ناقل للخير وليس ناقلًا للتوحيد.

٨- مظهر التشكيك ورد المعجزات، وهم متفاوتون في ذلك، فمنهم من تأولها، وهم قلة؛ ومنهم من ردّها، على اعتبار أنها تخالف العقل.

٩- مظهر محاربة كل ما هو مقدس؛ لإبطال عصمة النبي ﷺ، ولهم تأويلات وطرق في ذلك كثيرة: كقولهم إنها مأخوذة من النصرانية[١]، وكتجنيدهم للأقلام التي تنتقد وتشكك في الأحاديث النبوية ودواوينها[٢].

١٠-مظهر أن الوحي الذي جاء به النبي ﷺ بشري المصدر، أو أنه تاريخي، أي: عبارة عن إفرازات ثقافية لمرحلة معينة انتهت وانقضت، أو أنه أسطوري.

المطلب الثالث: مجالات الغزو الفكري.

لا شك أن الغزو الفكري كان شاملًا لكل المجالات، وذلك على النحو الآتي:

١- **مجال العقيدة**، وهذا أخطر مجال؛ لأن العقيدة إذا انهدمت انهدم الدين، وكان غيره أهون، ومسعاهم في هذا المجال يسير عبر التشكيك في عقيدة السلف، ويقابله إبرازٌ للعقائد الفاسدة المنتسبة للإسلام.

٢- **مجال الأخلاق**: وذلك بنشر الانحلال الخُلُقي ودعمه، والدعوة للحرية المطلقة، التي لا تتقيد بالدين والأعراف.

---

(١) العلمانيون والنبوة، ماجد الأسمري (ص١١-١٨٤).

(٢) دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة (ص١٨).

٣- **المجال السياسي**: وذلك بنشر أفكار الغرب بدلا من الإسلام، وإنشاء الأحزاب المتناحرة باسم الحرية والمشاركة السياسية، وضرب بعضهم ببعض، لكي يبقى المسلمون في صراع دائم بلا استقرار سياسي، وهذا لا شك يولد الضعف المالي والأمني.

٤- **المجال الاقتصادي**، وهذا المجال يكون بإغراق الدول الإسلامية في الديون، ونشر المعاملات الربوية بين أفرادها ومؤسساتها، واستغلال مواردها، ونهبها بطرق شتى.

٥- **المجال الاجتماعي**، وذلك عبر هدم الأسرة، وقطع الترابط بينها؛ بإفساد المرأة والشباب، ونشر المخدرات وشرب الخمر؛ فيصبح المجتمع غارقا في الشهوات، ومع مرور الوقت يألفها الناس ويصعب تغييرها.

المبحث الثالث: وسائل الغزو الفكري، وأدواته.

هذا الغزو كما قال الشيخ ابن باز ﷺ: «يقع بواسطة المناهج الدراسية والثقافية العامة، ووسائل الإعلام، والمؤلفات الصغيرة والكبيرة، وغير ذلك من الشؤون التي تتصل بالأمم، ويرجو العدو من ورائها صرفها عن عقيدتها، والتعلّق بما يلقيه إليها، نسأل الله السلامة والعافية»[١].

فأخطر وسائل التغريب توجيه السياسة التعليمة، والتأثير على البعثات التعليمية، فينشأ جيل وقادة متأثرين بالحضارة الغربية، قد تشبّعوا بأفكارها المعادية للإسلام، وتكونت عندهم قناعات بأن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين[٢].

وتأتي وسيلة أخرى لا تقل خطرا عن التعليم، وهي: وسيلة الإعلام بكافة أنواعه، وهذا يدركه كثير من الناس، وفي أيامنا هذه زاد خطره؛ بسبب سهولة الوصول إلى المجتمعات الإسلامية، وفئاتها العمرية المتنوعة، عبر الجوال وغيره من الأجهزة، باستخدام الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، كالمنتديات، والمجموعات البريدية، والشبكات الاجتماعية (تويتر، وفيسبوك، وإنستغرام، ولينكدإن) وخدمات المحادثة، والملفات المرئية، كذلك أجهزة الألعاب الإلكترونية، وضررها يمس جميع فئات المجتمع، خاصة الأطفال، فهي تحمل مبادئ وأفكارًا تخالف معتقدات المسلمين، كالسحر، والخرافة، والخوارق الكاذبة، بل تساهم في ترسيخ العنف والقتل[٣].

وهناك غيرها من الوسائل، كالاستشراق، والتنصير - وسيأتي بيانها.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٣/ ٣٣٨).

(٢) ينظر للاستزادة: المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، نايف بن ثنيان آل سعود (ص٢٢٥- وما بعدها).

(٣) ينظر للاستزادة في بيان خطر الإعلام المرئي على الأطفال والمرأة: الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكر ووسائل تلافيها، أ. د عبد القادر صوفي (ص٧١-٨٠).

المبحث الرابع: آثار الغزو الفكري، وخطورته.

رغم ما بُذل من جهود في مكافحة هذا الغزو الفكري وآثاره إلا أنه قد أثّر في المجتمعات الإسلامية، وذلك على النحو الآتي:

١. ظهور المذاهب الفكرية والإلحادية بجميع أنواعها في بلاد المسلمين.

٢. الانبهار بثقافة الغرب، وتقليدها دون ضوابط، حتى نادى بعضهم إلى ضرورة الاتصال بأوروبا لنكون جزءًا منها، لفظًا ومعنًى، حقيقةً وشكلًا[١].

٣. محاربة اللغة العربية باعتبارها لغةً لا تواكب العصر، ولا تلائم التعليم والعلم الحديث.

٤. ظهور طبقات مثقفة تحارب الإسلام وكل مقوماته، وتوجه الشباب إلى هذا المسار.

٥. ظهور الانحلال الخُلُقي بتأثير من الجمعيات الإلحادية والمذاهب الفكرية الغربية والحركات النسوية، ونزع الفِطَر الأخلاقية وتعاليم الدين من المجتمعات الإسلامية، فلا يغار الرجل على عرضه ومحارمه، وتخرج المرأة بكل حرية من بيتها؛ لتفعل ما تشاء بلا رقيب ولا حسيب، فتقع في حبائل الزنا وشرب الخمر والانحلال الجنسي، ساعد وشجّع على ذلك بطريق مباشر وغير مباشر كثير من المتغربين فكريا؛ وذلك فيما يطرحونه من أفكار عبر وسائل الإعلام على مرأى ومسمع من الناس[٢]، بل شرهم لم يسلم منه نساء المسلمين، حتى في بلاد الغرب، وذلك حينما تعلم أن أحد المفكرين المنتسبين للإسلام كان عضوًا في اللجنة التي منعت الحجاب في فرنسا، وشارك في استشارات كثيرة تتعلق بقضايا المسلمين لدول غربية[٣].

---

(١) ينظر لكلام طه حسين في كتابه: مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين (ص٣٣).

(٢) فعلى سبيل المثال: أحدهم في لقاء له على إحدى القنوات الفضائية يجيز تقبيل الشاب للفتاة، وحين سأله المذيع هل تقبل هذا على أحد محارمك؟ فأجاب بنعم، أقبل ذلك أمام الملأ، بدون حياء. ينظر: مقطع على اليوتيوب بعنوان (جمال البنا: ايه يعني شاب يبوس بنتي / المذيع: انت ديوث).

(٣) ينظر: القرآن الكريم والقراءة الحداثية، د. الحسن العباقي (ص١٤-١٥).

المبحث الخامس: سبل مواجهة الغزو الفكري.

إن مواجهة الغزو الفكري بكافة صوره موضوع مهم يحتاج إلى نظرة سلفية، نقية من أي شوائب؛ لكيلا يقع الخطأ الذي قد يزيده انتشارًا؛ وتوضيح ذلك يكون بطرق بعضٍ من السبل والحلول على النحو الآتي:

السبيل الأول: الإصلاح العقدي والمنهجي.

إنّ أعظم سبيل في مواجهة هذا الغزو الفكري ينطلق من الإصلاح العقدي والمنهجي، والخروج من أدران الفلسفة أو أي فكر مخالف لا يتفق مع الإسلام؛ وهذا مقتضى الدليل من القرآن والسنة، ومن الواقع التاريخي، ويمكن أن أعبر عنه بأن يُقال: «لا صلاح للأمة بغير العقيدة، ولا استقامة بغير الشريعة»؛ لأن الصلاح والاستقامة متوقفان على الإيمان والتقوى وطاعة الله ﷻ، وأن مخالفة أمره ونهيه يترتب عليه الخسران والنقص والفساد، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال أيضًا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وأما الإعراض عن طاعة الله فيترتب عليه نكد العيش، وقلة البركة، والتعب في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، ولا شك أن ذِكْر الله من التوحيد، ويأتي في عبادات متنوعة، منها: الصلاة، والصوم، وغيرهما.

ومعيشة الضنك تكون في الدنيا، وفي البرزخ، وفي يوم القيامة، ويؤكد ذلك أن الله ﷻ عطف على الآية نفسها ما يكون عليه حال المعرض من عذابٍ يوم القيامة، فقال: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾، ففرّق ﷻ بين حال هذا العاصي في الدنيا وبين حاله في الآخرة، فهذا دليل على تحقق الصلاح مع الإيمان والطاعة، وتحقق المكروه والتعب والنصب مع السيئة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن

يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠][1].

والآيات في هذا المعنى كثيرة[2].

أما من السنة فدليل ذلك قوله ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**»[3].

فالنبي ﷺ بشّر الأمة بالتمكين والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة، ثم في نهاية الحديث بين أن العمل لا بد أن يكون خالصًا لله، وليس من أجل الدنيا، وهذه إشارة ودلالة على أن العقيدة ضرورية في تحقق الصلاح.

ومن الأحاديث أيضا: حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: صلى بِنَا رسول اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ منها الْقُلُوبُ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا، فقال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ**

---

(١) ينظر إلى مزيدٍ من التفصيل: فقه النوازل، محمد بن حسين الجيزاني (١/ ٦٠-٦٥).

(٢) ومثال آخر: حيث يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، فنستنتج من هذه الآية ما يلي: أ) أمن وطمأنينة وسعة رزق ورغد عيش يأتي من كل مكان. ب) أن الجحد بهذه النعم كان سببه الكفر. ج) استشعار أسماء الله الحسنى وصفاته وأنه عليم ورزاق وقادر... إلخ.

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (٢١٢٢٠)، والدولابي في الكنى والأسماء (١٠٠٤)، والشاشي في مسنده (١٤١٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٥)، والحاكم في المستدرك (٧٨٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٥)، والبيهقي في الشعب (٦٤١٤)، والبغوي في شرح السنة (٤١٤٥). والحديث صححه: الحاكم، ووافقه الذهبي في التلخيص، والهيثمي في المجمع (١٧٦٤٦)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٧٠٢٩)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣)، والأرناؤوط في تحقيقه مسند الإمام أحمد.

الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بها وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

فهذا حديث لابد منه لمن أراد الإصلاح ومواجهة هذا التيار التغريبي، بأن يجعله قاعدة يسير عليها، لأن النبي ﷺ نصح الصحابة ﷺ وأمته من بعدهم نصيحة موَّدع، بأحسن عبارة وأوجزها وأبلغها، وذكر ﷺ أنه تركهم على أمرٍ واضحٍ، من تركه فقد هلك، ثم أثبت بعدها الهلاك بكثرة الاختلاف، وأمر بالاتباع؛ للنجاة من ذلك، ثم ختم الأمر بإقرار حكم يتعلق بالسياسة، وهو عدم الخروج على الحاكم المسلم الفاسق، وهذا أعظم وسيلة لمكافحة وسائل أعداء الإسلام، لأن أعداء الإسلام لن يجدوا أفضل من منازعة أولي الأمر في خلق الاضطرابات وإحداث الضعف وابتزاز الحكومات؛ لتحقيق ما يريدون، وهذا كثيرا ما يغفل عن طرحه من يكتب في موضوع المذاهب والتيارات التغريبية.

ومما يجب التنبيه إليه أيضا اجتناب الإصلاح البدعي في مواجهة التغريب، كأن يكون بواسطة أسلمت الأفكار الغربية بدعوى الإصلاح، والدعوى لإنشاء الأحزاب، فهو خلل وخطأ قديم، وإسقاط لفلسفات جديدة؛ لحل إشكالات ناجمة عن جهلٍ بنصوص الوحي، وهذا ما وقع للجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من المتكلمين؛ لأن سببه كان بقراءة فلسفة اليونان، والانكباب عليها، وفي عصرنا أيضا يتكرر هذا الخطأ، فتظهر الأحزاب بشعارات إسلامية خدّاعة وفي جوهرها اقتباس لأفكار ومذاهب غربية مخالفة للإسلام، بل لا تهتم بالدعوة إلى التوحيد، وليس هو أولويتها، وهذا إهمال لأهم وسائل الإصلاح ومحاربة المذاهب الفكرية – كما تقدم –، وهذا تجاهل للأصل الذي بعثت من أجله الرسل ﷺ، وهو التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

(١) أخرجه: أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٧١٨٢، ١٧١٨٤، ١٧١٨٧)، والحاكم في المستدرك (٣٢٩) و (٣٣١) و (٣٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي. والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠١٢٥) والدارمي (٩٥)، والحديث صححه الألباني وغيره.

وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالخلاصة: لا يمكن تحقيق صلاح حقيقي إلا بالعودة إلى التوحيد والدين الحنيف؛ لأن الله لم يجعل نصرَ دينه وتمكينَه بوسيلة تتنافى مع السبب الحقيقي لخلق السماوات والأرض، وهي إخلاص العبادة لله سبحانه.

ويدخل في هذا السبيل أيضا التربية الإيمانية الصحيحة في البيت والمدرسة والمجتمع[١].

السبيل الثاني: التخلص من الذنوب واجتنابها.

وهذا قد دل عليه نصوص كثيرة تثبت أن الذنوب هي سبب المصائب وتسليط الأعداء، منها:

١- حديث ابن عمر ﷺ، قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدّة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[٢].

---

(١) ينظر إلى مزيدٍ من التفصيل: الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكر ووسائل تلافيها، أ. د عبد القادر صوفي (ص٩٣-١٠٥).

(٢) أخرجه: معمر بن راشد في جامعه (٢٠٧٠٢) ابن ماجه (٤٠١٩) والبزار في مسنده (٦١٧٥) والطبراني في الأوسط (٤٦٧١) والحاكم في المستدرك (٨٦٢٣) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه لغيره الشيخ الأرنؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ١٥٠)، وقال الحافظ ابن حجر في إتحاف الخيرة (٧/ ٤٤٦): «رواه أبو يعلى بسند رواته ثقات...»، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦).

٢- حديث بريدة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نقض قوم العهد قط، إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط، إلا سلّط الله عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة، إلا حبس الله عنهم القطر**»(١).

دل الحديثان على أن الاستقامة على عهد الله أعظم وسيلة في منع تسلط أعداء الإسلام على المسلمين، وهذا يقتضي أن يكون سبيلا في مواجهة هذا الغزو الفكري.

السبيل الثالث: الرد على هذه المذاهب الفكرية.

وذلك بفضحها وكشف ما ترمي إليه، فهو داخل في القيام بدين الله وعهد الله؛ لأنه دفاعٌ عن الدين، وإظهارٌ للحق، ودمغٌ للباطل.

السبيل الرابع: الدعوة إلى الله وإلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

الإسلام دين الله الحق، لا يماثله دين في الأرض، وهو موافق للفطرة، والحق عليه نور، وهو غالب، لكن يحتاج إلى عمل ودعوة، ونصرة له، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ومن أعظم ما يجب دعوة الناس إليه التوحيد الصحيح - توحيد السلف -، السهل الذي يدركه الناس بفطرهم، وليس توحيد المتكلمين الفلسفي... فإذا اجتهد الدعاة في دعوتهم، وأخلصوا في ذلك، كانت نتائجه عظيمة، وعاقبته التمكن والنصر والقوة، ودخل الناس في دين الله أفواج، ومما

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٢٥٧٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه»، ووافقه الذهبي في التلخيص (٢٥٧٧)؛ والبيهقي في الكبرى (٦٣٩٧)، وفي الشعب (٣٠٤٠)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣١٨): «رواه البزار ورجاله ثقات»؛ وقال الحافظ ابن حجر في إتحاف الخيرة المهرة (٥/ ١٤٤): «هذا إسناد حسن، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر، رواه بن ماجه في سننه، والبزار في مسنده».

يؤكد ذلك أن بعض الفلاسفة الغربيين أدركوا هذا التميز، منهم (برتراند رسل)[١]، حيث قال: «كانت ديانة النبي محمد ﷺ توحيدًا بسيطًا، ليس فيه التعقيد الذي تراه في عقيدتي (الثالوث) و(التجسيد)، ولم يزعم النبي أنه إله، ولا زعم أتباعه له هذا... إلخ»[٢]. فهذا الكلام منه -مع أنه وغيره لم يدخلوا في الإسلام- يثبت أنهم أدركوا امتياز هذا المفهوم الفطري للتوحيد مقارنة بدين النصارى، والأديان الأخرى المنحرفة عن فطرة التوحيد.

السبيل الخامس: الحد من سفر الشباب إلى البلاد الأجنبية، حمايةً لهم ووقاية من مهاوي الغزو الفكري.

وذلك بوضع الشروط المعتبرة الآتية:

١- أن يكون الراغب للسفر عنده علم بأصول العقيدة، وبشبهات الباطل.

٢- أن يكون عنده عبادة وخشية من الله، ودين يحميه -بإذن الله- من الوقوع في المنكرات.

٣- الحاجة الملحة إلى السفر، كأن يكون مريضًا يحتاج إلى السفر للاستشفاء، أو يكون محتاجًا إلي علم لا يوجد في بلد الإسلام تخصص فيه؛ فيذهب إلى هناك ويتعلم، أو يكون الإنسان محتاجًا إلى تجارة، يذهب ويتجر ويرجع[٣].

---

(١) راسل، برتراند آثر وليم: فيلسوف إنكليزي، توفي في عام (١٩٧٠م)، حصل على جائزة نوبل في الآداب عام (١٩٥٠م)، اتُهم بالإلحاد، وكان مناهضًا للعنف والحرب (أي: سلمي النزعة). ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، (ص٤٣١)؛ ومعجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، (٣١٧-٣١٨)؛ ومعجم الأفكار والأعلام، هتشنسون، (ص٢٢٤).

(٢) تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: زكي نجيب محفوظ (٢/ ١٨٢).

(٣) ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٢٣)؛ والثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكر ووسائل تلافيها، أ.د. عبد القادر صوفي (ص١٠٦-١٠٩).

السبيل السادس: مراقبة وضبط الإعلام ووسائل التواصل.

وذلك بإيجاد البديل المناسب الهادف لما يستجد في وسائل الإعلام، مع مراقبتها، ومنع ما يكون فيها من شرور لإفساد الأفراد والمجتمعات، كذلك ضبط أصحاب الحسابات التفاعلية، بإيقاع العقوبات على كلِّ من يتجاوز حدود الآداب والأخلاق والعقيدة الإسلامية.

الفصل الثاني

التنصير.

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول**: مفهوم التنصير وصلته بالاحتلال.
- **المبحث الثاني**: تاريخ التنصير وأهدافه.
- **المبحث الثالث**: وسائل التنصير القديمة والمعاصرة، ومجالات المنصرين.
- **المبحث الرابع**: واقع التنصير في دول العالم الإسلامي.
- **المبحث الخامس**: سبل مواجهة التنصير المعاصر.

المبحث الأول: مفهوم التنصير وصلته بالاحتلال.

أولاً: معنى التنصير.

لغةً: تَنَصَّرَ: دَخَلَ فِي النَّصرانيّة[١]، ونصّره: جعله نصرانيا[٢].

اصطلاحًا: دعوة تهدف إلى تنصير الناس، ومحو كل العقائد التي تخالفهم وخاصة الإسلام، وإدخالهم في تبعيّتهم، ولهم في ذلك أساليب وطرق متنوعة.

وهذا النشاط برَز عبر مراحل زمنية بعد الحروب الصليبية.

ثانيًا: بيان بعض الأسماء التي تطلق عليه:

١- **التبشير**: ومعنى البشارة الإخبار بالأمر السار؛ ولذلك هذه التسمية لا تتفق مع معنى وهدف للتنصير، فلا يصح استعمالها، أما معنى التبشير في اعتقادهم فيعنون به إخبار الناس بالخلاص أو أن عيسى قد دفع عقوبة الخطية[٣]، ويستندون في ذلك إلى ما جاء في إنجيل مرقس [١٦: ١٥]: «وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَى كل الْعَالَمِ وانشروا البشرى لكل الناس»[٤]، أو «وبشروا الخليقة كلها بالإنجيل»[٥].

٢- **الاستشراق**: سيأتي الكلام عنه.

---

(١) العين (٧/ ١٠٩).

(٢) الصحاح (ص١١٤٢).

(٣) ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (٢٠٤٩).

(٤) طبعة دار الكتاب الشريف، بيروت-لبنان، سنة ٢٠١٦م.

(٥) مع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس.

٣- **التكريز، أو الكرازة**[١]: وهو مرادف لمعنى التبشير، أخذوا هذه اللفظة من إنجيل مرقس [١٦: ١٥]، إذ جاء فيه: «وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا»[٢]، وجاء في أعمال الرسل [٥: ٤٢، ٨: ٤]: «كان المؤمنون الأوائل يكرزون بصفة مستمرة».

٤- **المناداة**: جاء في القاموس: هي الكرازة والتبشير بكلمة الله.

ثالثًا: علاقة التنصير بالاحتلال.

التنصير يعد سلاحًا من أسلحة الاحتلال؛ للسيطرة على بلاد وثروات المسلمين، ومحو العقيدة الصحيحة التي تهددهم وتحث على جهادهم، إضافةً إلى أن المنَصِّرين يتجسسون على المسلمين لصالح الاحتلال، فهما يسيران إلى تحقيق هذا الهدف بأساليب مختلفة ومدروسة[٣].

---

(١) ذكر أحدهم أن كلمة الكرازة «استخدمت في العهد الجديد أكثر من ٦٠ مرة، وتعني باللاتينية (kyresso)، ومعناها: يعلن أو ينادي. وقد كان (المنادي) في العهد القديم شخصية مهمة، إذ كان رجلًا صاحب مكانة، يستخدمه الملك أو الدولة لإعلان القوانين والأوامر والأحكام العامة والمناداة بها للشعب»، مقال بعوان: مبادئ بسيطة للكرازة الصحيحة، حازم عويص، بتاريخ: (٢/ ديسمبر/ ٢٠١٦م)، على موقع: [Iinga].

(٢) مع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس.

(٣) ينظر للاستزادة: الغارة على العالم الإسلامي، أ. ل. شاتلية، تلخيص وتعريب: محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي.

المبحث الثاني: تاريخ التنصير وأهدافه.

أولا: تاريخ التنصير.

كانت الحروب الصليبية صورة معبرة عن التنصير بالقوة، ثم تحول بعد ذلك في القرن الثامن الهجري إلى ركود في نشاطه، وفي الربع الأخير من القرن التاسع (القرن ١٥م) زاد وفتح نشاطه عبر إسبانيا والبرتغال، فاكتشفوا قارات جديدة واستطاعوا أن ينشروا فيها الديانة النصرانية، التي لا يعرف أهلها عنها شيئا في السابق.

فالبداية الفعلية للتنصير بصورته المعروفة ظهرت إثر فشل الحروب الصليبية في القضاء على الإسلام بقوة السلاح، وسبب هذا التحول كان بناء على وصية القديس (لويس التاسع) ملك فرنسا، الذي فشل في حملة صليبية ووقع أسيرا وسُجن في مدينة المنصورة بمصر، وفي وصيته هذه يحث على تلمس طريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها.

هذا كبداية، لكن يمكن القول بأن بطل هذه المرحلة بلا منازع، وأوّل من سعى إلى التنصير هو: (**ريموند لول**) (Raymond Lull) (١٣١٥م)، وكانت نتيجة سعيه أن استجاب له (ملِك ميورقة)، فأنشأ كلية الثالوث المقدس لإعداد المنصّرين، وقام (لول) نفسه بإعدادهم فيها.

وفي سنة (١٣١١م) قرّر مجمع فيينا الكنسي إنشاء خمسة كراسٍ لتعليم اللغة العربية في أكبر خمس جامعات أوربا (باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وسلمنكا، وجامعة الإدارة المركزية البابوية)، وعيَّن للتدريس فيها مدرسين كاثوليكيين، فأثمر هذا الجهد منهم عن ظهور أكبر مؤسستين تنصيريتين للعمل ضد الإسلام والقرآن حتى اليوم[١]، هما: التنصير، والاستشراق -وسيأتي قريبا.

---

(١) وقد نشأت جمعيات كثيرة للتنصير، أذكر منها:

١- «**جمعية لندن التنصيرية**، تأسست سنة (١١٧٩هـ - ١٧٦٥ م)، وهي موجهة إلى إفريقيا.

=

٢- **جمعيات بعثات التنصير الكنسية**، تأسست في لندن سنة (١٢١٢ هـ - ١٧٩٩م)، وهي موجهة إلى الهند ومنطقة الخليج العربي.

٣- **جمعية تبشير الكنيسة الأنجليكانية البريطانية**، تأسست سنة (١٢١٤ هـ - ١٧٩٩م)، وتُدعَم من الأسرة المالكة في بريطانيا.

٤- **جمعية طبع الإنجيل البريطانية**، تأسست سنة (١٢١٩ هـ - ١٨٠٤م)، تهتم بالطبع والترجمة والتوزيع.

٥- **جمعية طبع الإنجيل الأمريكية**، تأسست سنة (١٢٣١ هـ - ١٨١٦م)، لها مطابع ومكتبات تجارية في البلاد العربية، كمطبعة النيل ومكتبه الخرطوم.

٦- **مجلس الكنيسة المشيخية الأمريكية**، نشأت سنة (١٢٥٣ هـ - ١٨٣٧ م)، وهي موجهة إلى العالم العربي.

٧- **جمعية الكنيسة التنصيرية**، نشأت سنة (١٢٦٠ هـ - ١٨٤٤م)، تركز على التعليم والخدمات العلاجية. ويسهم الألمان فيها بجهود كبيرة.

٨- **جمعية الشبان النصارى**، نشأت سنة (١٢٧١ هـ ١٨٥٥م)، ومنها ظهرت:

٩- **إرسالية الجامعات لوسط إفريقيا**، نشأت سنة (١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦م). قامت تلبيةً لنداءات المستكشفين الجغرافيين الإنجليز في الجامعات والجمعيات البريطانية.

١٠- **جمعية الشباب القوطيين للتنصير في البلاد الأجنبية**.

١١- **الكنيسة الإصلاحية الأمريكية**، تأسست سنة (١٢٨٠ هـ - ١٨٦٣م)، تنتمي للكنيسة الكاثوليكية، وتهتم بالعلاج والتعليم الصناعي.

١٢- وأنشأ البابا ليو الثالث عشر سنة (١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م) أسقفيتين لمباشرة التنصير الكاثوليكي في شرق إفريقيا، واحدة منها في منطقة بحيرة فكتوريا والأخرى في منطقة بحيرة تنجانيقا.

١٣- **اتحاد البعثة التنصيرية الإنجيلية**، تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية سنة (١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م).

١٤- **الإرساليات العربية الأمريكية**، أنشئت في الولايات المتحدة الأمريكية سنة (١٣١١هـ - ١٨٩٤م)، تهتم بمنطقة الخليج العربي.

١٥- **جمعية اتحاد الطلبة النصارى**، تأسست سنة (١٣١٣ هـ - ١٨٩٥م).

١٦- **حملة التنصير العالمية**، تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية سنة (١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م)، تهتم بالطب والتعليم والأدب والترجمة.

١٧- **زمالة الإيمان مع المسلمين**، أنشئت في بريطانيا وكندا سنة (١٣٣٤ هـ ١٩١٥م)، تهتم بالمطبوعات.

=

فأصبحت الكنائس والأدْيِرَة مرتكزاتٍ وقواعدَ للعمل التنصيري، لتخريج أهل الجدل الذين يجادلون ضد الإسلام والقرآن.

ومن أوائل المنصرين الرُهبان الجدليين ضد القرآن الراهب الدومنيكاتي (ريكولدو دي مونت كروس) (١٢٤٣ م – ١٣٢٠ م)، الذي بعثه البابا (نقولا الرابع) إلى الشرق، فتجول منَصِّرًا في فلسطين، ومجادلا باللغة العربية ضد القرآن، ثم ألّف الكتب الجدلية ضد القرآن[١].

ثانيًا أهداف التنصير.

هناك أهداف عامة للتنصير، وهي على النحو الآتي:

١- حماية المجتمعات النصرانية أو التي تغلب عليها النصرانية من الدخول في الإسلام.

٢- الوقوف أمام انتشار الإسلام، بإحلال النصرانية مكانه، أو بالإبقاء على العقائد المحلية المتوارثة.

١٨- **عمودية التعبئة**، تأسست سنة (١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨م)، وهي موزعة، وتهتم بتدريب الشباب على التنصير.

١٩- **جمعية تنصير الشباب**، نشأت سنة (١٣٧٢ هـ – ١٩٥٢م).

٢٠- **الامتداد النصراني في الشرق الأوسط**، نشأت سنة (١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م)، وهي موزعة، وتهتم بالمطبوعات.

٢١- **إرسالية الكنيسة الحرة الأسكتلندية**. تهتم بالصناعات اليدوية والزراعية.

٢٢- **جمعية التنصير في أرض التوراة العثمانية**.

٢٣- **جمعية تنصير شمال إفريقيا**.

٢٤- **لجنة التنصير الأمريكية**.

٢٥- **إرسالية كنيسة أسكوتلندا الرسمية**، قامت تلبية لنداء المستكشف الإنجليزي (ليفينجستون).

هذا بالإضافة إلى الجمعيات المحلية في العواصم والمدن الإسلامية، يقوم عليها عاملون محليون مدعومون من جمعيات تنصيرية غربية، أوربية وأمريكية». ينظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته (ص٦٠).

(١) ينظر: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم (ص٣٣-٣٩).

٣- إخراج المسلمين من الإسلام، أو إخراج جزء من المسلمين من الإسلام. ويعدّ ذلك من الأهداف طويلة المدى.

٤- التشكيك في المثل والمبادئ الإسلامية لمن أصروا على التمسك بالإسلام.

٥- ترسيخ فكرة قيام دولة ووطن قومي لليهود.

٦- فصل العقيدة عن الشريعة، بمعنى: السعي إلى نقل المجتمع المسلم في سلوكياته وممارساته بأنواعها؛ السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والأسري، والعقدي من أصالتها الإسلامية إلى تبني الأنماط الغربية في الحياة، وهي المستمدة من خلفية دينية نصرانية أو يهودية.

٧- إدخال النصرانية أو إعادتها إلى عدد كبير من البلاد الإسلامية وغيرها، وبخاصّة في إفريقية، وآسيا، وأمريكا الجنوبية[١].

٨- إخضاع العالم الإسلامي للسيطرة الغربية النصرانية، والتحكم في خيراته ومدّخراته.

٩- السيطرة السياسية، والتوسع الاستعماري[٢].

١٠-تفريق المسلمين، بإثارة النزعات والقوميات والطوائف، وإنشاء الأحزاب المتنافرة والمختلفة، وإبعاد المسلمين عن رابطة الإسلام.

وفي العصر الحالي تعمل الجمعيات التنصيرية بجدٍ؛ للانقضاض على الدول الإسلامية التي كانت تحت نار الحروب والاضطرابات؛ لتبدأ حملة تنصير مخطط لها[٣].

---

(١) ينظر: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، (ص٦٧-٧٥).

(٢) ينظر: التنصير، تعريفه أهدافه وسائله حسرات المنصرين، عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، (ص١٣).

(٣) ينظر: التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، علي النملة (ص١٥٢).

المبحث الثالث: وسائل التنصير القديمة والمعاصرة، ومجالات المنصرين.

هناك وسائل كثيرة للتنصير، أذكر منها الآتي:

١- **الاحتلال العسكري**، وهو الوسيلة المساندة الأولى والأقوى، لأن الاحتلال ذلَّل العقبات أمام المنصِّرين، فمكنهم من إقامة مؤسساتهم في بلاد المسلمين بكل سهولة[١].

٢- وسيلة **استخدام الحكومات الغربية**، وذلك في مؤازرة المنصِّرين من خلال التسهيلات والهبات التي تمنح لهم، وتبني المشروعات، والتعاون الاستخباري أو المخابراتي بين الطرفين، وعلى الرغم أن الحكومات الغربية حكومات علمانية، إلا أن هذا لا يقتضي عدم اهتمامهم بالدين، أو عدم تديُّن القائمين عليها.

٣- وسيلة **جمع التبرعات** عبر الأفراد أو الشركات الخاصة.

٤- وهناك وسائل تكون كالمنهج، منها: **استغلال حالة الفقر** السائدة في الدول المتأثرة بالكوارث الطبيعية، وذلك بسرعة الوصول إلى المناطق المنكوبة، حتى وإن كانت وعرة أو نائية، مستغلين إمكاناتهم المادية.

٥- **استغلال التطبيب والتمريض**، أو استغلال الحالة الوبائية والمرضية، التي تكون في المناطق المستهدفة، إذ تُعدُّ مَرْتعًا خِصبًا للتنصير والمنصرين، ولأي دعوة أو توجه.

٦- **استغلال الجهل وقلة الوعي بين الناس، وانتشار البدع**، بدعمها وترسيخها بين المجتمعات الإسلامية؛ لأنها تساهم في تخلف المسلمين، وتبعدهم عن العقيدة الصافية.

٧- **إمداد وتجهيز المنصرين ومؤسسات التنصير**، من جمعيات ومنظمات، تجهيزًا تامًّا، مستغلين فيهم الاستعداد الذاتي للرحلة والمغامرة[٢].

---

(١) ينظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته (ص٩٧).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٢٨).

٨- **رعاية ومؤازرة طلائع الفساد والمنافقين**، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ويصدون عن سبيل الله[١].

٩- **استغلال العلم والتعليم**، بواسطة إنشاء المدارس والكليات؛ خدمةً للتنصير، ويدخل في وسائلهم في مجال التعليم ما يلي:

- منع المسلمين وإبعادهم عن المجالات والعلوم التطبيقية النافعة المنتجة للصناعات، أو إشغالهم بالعلوم النظرية فقط.
- إشغال أبناء المسلمين بالفلسفات الفكرية المتناقضة والمتعارضة، وقتل الطاقات الفكرية في الصراعات والجدليات التي لا طائل منها.
- إدخال فنون كثيرة لا تفيد في ارتقاء الأمم[٢].

١٠-**استغلال وسائل الإعلام والخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية**، وهذا ظهر حديثا، فشمل نشاطُهم المنتديات، والمجموعات البريدية، والشبكات الاجتماعية (تويتر، فيس بوك، وإنستغرام، ولينكدإن) وخدمات المحادثة، والملفات المرئية، وغيرها[٣].

وبهذا يمكن أن أستنتج باختصار ما يلي:

أولا: أن وسائل التنصير شملت المجال العقدي، والسياسي، والثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي، والإعلامي.

ثانيا: أن الوسائل التَّنصيريَّة تنقسم إلى قسمين:

- **وسائل مباشرة**: تكون بدعوة غير النصارى مباشرة.
- **وسائل غير المباشرة**: تكون عبر ما سبق ذكره في المجالات الطبية والتعليمية ونحوها.

---

(١) ينظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته (ص٩٧-١١٢).

(٢) ينظر: التنصير في البلاد الإسلامية، د. محمد بن ناصر الشثري (ص١٩).

(٣) ينظر للاستزادة: التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية، د. علي النملة (ص٦٥-وما بعدها): وأبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية، إنعام بنت محمد عقيل (ص١٧-وما بعدها).

المبحث الرابع: واقع التنصير في دول العالم الإسلامي.

في الوقت الحالي يمكن أن نعدَّ جنوب السودان أنموذجًا لأثر التنصير الذي انتهى به المطاف إلى أن انفصل عن دولة السودان الإسلامية، وأصبحت دولة مستقلة تهدد كيانها. وقد بدأ الجهد التنصيري بشكله المنظم عام (١٨٢٠ م) في عهد الدولة العثمانية[١][٢]، واستمر إلى أن قام الإنجليز قبل خروجهم من احتلالهم للسودان بترحيل العرب من الجنوب؛ لكي يصبح الجنوب خاليًا من العرب والمسلمين، وهذا شكل من أشكال الاستيطان الاحتلالي[٣]، ثم بعد ذلك دعموا فكرة الانفصال.

وقبل ذلك انتشرت فكرة الانفصال عن مناطق الإسلام، كما في إندونيسيا، وفي الملايو.

وفي الشام كثرت المدارس والجامعات الغربية، وزاد نشاط المنصرين.

أما في السنغال فقد تحول بعض المسلمين في قبيلتي (سيرير، وجولا) إلى النصرانية، وبسبب ذلك انخفضت نسبة المسلمين في القبيلتين كثيرًا.

وأما في إندونيسيا فقد ظهر نشاط التنصير جليًّا، وتحول كثير من المسلمين إلى النصرانية بين عامي (١٩٦٥ م – ١٩٧١ م)[٤].

---

(١) ينظر: التنصير في البلاد الإسلامية، د. محمد بن ناصر الشثري (ص٣٧).

(٢) مستغلين بعض العوامل، التي من أهمها: **أولًا**: مبادرة مصر في اختراق السدود النباتية (عام ١٨٣٩-١٨٤٢م)، التي استغلها الفاتيكان في مد نفوذهم إليها، حيث كانت عائقًا في وصولهم من قبل، **ثانيًا**: تبنيهم فكرة محاربة تجارة الرقيق، **ثالثًا**: تغلغل النفوذ الأوربي. ينظر: المصدر السابق، (ص٣٧-٤٤).

(٣) ينظر: في الخطاب والمصطلح الصهيوني، عبد الوهاب المسيري، (ص٣٦).

(٤) ينظر للاستزادة: المذاهب الفكرية المعاصرة (١/ ٣٠١-٣١٩).

المبحث الخامس: سبل مواجهة التنصير المعاصر.

مواجهة التنصير تكون بطرق وسبل متعددة، منها:

١- الدعوة إلى الله، والتوعية بأخطار التنصير، وتحصين المجتمعات من المد التنصيري، بأساليب متنوعة، وعدم ترك المنصرين يعبثون ويصولون ويجولون في المجالات والمناطق التي سبق ذكرها.

٢- عبر الحكومات الإسلامية، وذلك بالتصدي للجمعيات التنصيرية، وإقامة هيئات إغاثية تحت نظرها، بعيدة عن أي تدخُّلٍ قد يسبب إغلاق نشاطها أو تقييده.

٣- عبر المؤسسات التعليمية والجامعات، ومراكز البحوث؛ وذلك باتخاذ الآتي:

- تعليم الطلاب وتوعيتهم بخطر التنصير.
- إنشاء هيئة إسلامية عامة متخصصة في مواجهة التنصير تقوم برصد نشاط التنصير، وتوفير المعلومات والإحصائيات، ثم البناء عليها؛ لتسهيل وتوحيد العمل في صد حملات التنصير.
- إصدار دوريات ومجلات متخصصة في التنصير، تنشر في أنحاء العالم الإسلامي.
- تشجيع الأبحاث العلمية في الجامعات والمعاهد المتخصصة في التنصير[١].

---

(١) ينظر للاستزادة: التنصير – المفهوم، الوسائل، المواجهة، علي النملة (١٨٥-وما بعدها).

الفصل الثالث

الاستشراق.

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول**: مفهوم الاستشراق ونشأته، وأشهر رجاله.
- **المبحث الثاني**: أهداف الاستشراق.
- **المبحث الثالث**: وسائل الاستشراق المعاصر، ومراكزه.
- **المبحث الرابع**: نماذج من افتراءات المستشرقين، والرد عليها.
- **المبحث الخامس**: سبل مواجهة الاستشراق المعاصر.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته، وأشهر رجاله.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق.

الاستشراق كلمة مولدة عصرية، وهي تعريب لكلمة (orientalism)، واستشرق: طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم، يقال لمن يُعنَى بذلك من علماء الفرنجة[١].

وكثير من الباحثين يعرّفه بأنه: نشاط بحثي وعلمي يقوم به بعض مفكري الغرب، للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته، وثقافة الشرق وعلومه[٢].

وهذا التعريف لا يصلح، وناقص، وغير مطابق لحقيقة الاستشراق ونشأته، ولعل التعريف الصحيح: أنه **دراسات علمية لكل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين يقوم بها غربيون، تهدف - في أغلبها - إلى تشويه الإسلام، وتشكيك المسلمين فيه؛ خدمةً لأغراض التنصير، وهيمنةِ الغرب على المسلمين.**

شرح التعريف:

قولي: (دراسات علمية)، أي: هي في ظاهرها دراسات ونظريات، ولكن ينقصها الموضوعية، فهم في حقيقتهم درسوا اللغات الشرقية (عربية، وفارسية، وعبرية، وسريانية وغيرها)، وتفرّغ كثير منهم لدراسة اللغة العربية والاطلاع على علومها ومعارفها.

قولي: (في أغلبها...): فيه إخراج لبعض المستشرقين المنصفين، وابتعادًا عن التعميم، وتوخيًّا للعدل في النقد، وإلا فإن الأصل من هذه الدراسات أن تكون وسيلة لبث كثير من المفتريات والأباطيل في محيط الإسلام؛ للتهوين من شأن الدعوة الإسلامية، والتقليل من أثرها في الحياة[٣].

---

(١) ينظر: معجم متن اللغة، أحمد رضا (٣/ ٣١٠).

(٢) ينظر: الاستشراق والتبشير (ص١٠).

(٣) ينظر: الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته (ص٧٩) عبد المنعم محمد حسنين، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، -العدد الثاني- (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق، ومدارسه، وأشهر رجاله.

أولا: نشأة الاستشراق

اختلف الباحثون -من مسلمين وغيرهم- حول تحديد بداية الاستشراق، وذلك على النحو الآتي:

١- **القول الأول**: قبل الميلاد، مع بداية الصراع بين الفرس واليونان، وهذا قول من يعرِّف الاستشراق بأنه دراسة الغرب للشرق دون حصره في الإسلام.

٢- **القول الثاني**: أنه بدأ مع ظهور الإسلام وما وقع فيه من جدل مع أهل الكتاب.

٣- **القول الثالث**: أنه بدأ مع الفتح الأندلسي في بداية القرن الثامن الميلادي ونهاية القرن الأول الهجري، وذلك حينما أقبل الأوربيون لدراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية.

٤- **القول الرابع**: أنه بدأ مع القرن العاشر الميلادي أيضا في الأندلس.

٥- **القول الخامس**: أن البداية الفعلية كانت في القرن الثاني عشر الميلادي؛ وذلك مع ظهور أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم بتوصية (بطرس المحترم أو المبجل)[١].

هذا باختصار، ولكن يمكن القول بأن سبب هذا الاختلاف أمور، منها:

١- صعوبة تحديد بداية الأفكار؛ لأنها غالبا لا تظهر مكتملة، بل تتدرّج شيئا فشيء.

٢- أنه قد يحدده بعضهم استنادا إلى بدايته الفعلية، وليس بناء على بدايته غير النظامية[٢].

ومع هذا الاختلاف لا يمنع تقرير الآتي:

١- أن الاستشراق ازدهر وبرز نشاطه خلال القرنين التاسع عشر والعشرين؛ لأنه فيهما ظهرت الجمعيات الاستشراقية، وصدرت المجلات والمطبوعات الاستشراقية، وفي القرن التاسع عشر انعقد أول مؤتمر دولي عام (١٨٧٣ م).

---

(١) ينظر للاستزادة: الفكر الاستشراقي وأثره في مناهج التعليم الأزهري (ص٨-١١).

(٢) ينظر للاستزادة: المذاهب الفكرية المعاصرة (٢/ ٣٩١-٣٩٢).

٢- أن بداية الاستشراق كانت مع ظهور الإسلام - وإن لم يُسمَّ استشراقًا -، وازداد وانتشر شيئًا فشيئًا على مر العصور حتى يومنا هذا[١].

ومن المهم في بيان النشأة أن أشير إلى أنَّ اسم الاستشراق تغير بعد انعقاد مؤتمر باريس عام (١٩٧٣م)؛ بسبب تلوث اسم الاستشراق وأخطاءه وانكشاف حقيقة أمره[٢]، وتحول اسم المستشرق إلى (خبير)[٣] يعمل في مراكز، أو جامعات، أو معاهد.

فالاستشراق دائم التجديد والتغيير؛ لأنه خاضع للفكر الغربي الذي لا يعرف الاستقرار، ولا مبدأ الثبات في أفكاره[٤].

ثانيًا: مدارس الاستشراق.

يمكن أن يقال إن الاستشراق له مدارس وتنقسم إلى قسمين بحسب الاعتبار على النحو الآتي:

أولا: تقسيم الاستشراق بحسب الاعتقادات، أو الأهداف، أو الرؤى والأفكار، التي تمثلها كل مدرسة، وهذا ذكر لأهمها:

١- المدرسة اليهودية، والمدرسة النصرانية.

٢- المدرسة الشيوعية في الاستشراق، وتمثل الاستشراق الذي ظهر في بلاد الكتلة الشرقية.

٣- المدرسة الاستشراقية العلمانية، التي تمثل الفكر العلماني الغربي.

٤- هناك من المستشرقين من يعمل من منطلق إلحادي أو لا ديني.

٥- مدرسة الاستشراق السياسي.

---

(١) ينظر: الفكر الاستشراقي وأثره في مناهج التعليم الأزهري (ص٨-١١)

(٢) ينظر: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، د. مازن مطبقاني (ص١٢)؛ ودراسات في التيارات الفكرية المعاصرة (ص٢٠).

(٣) المستشرقون الجدد، د. مصطفى عبد الغني، (ص٦٦).

(٤) ينظر: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، أ. د. محمد خليفة حسن، (ص٥٩).

٦- مدرسة الاستشراق الأدبي، والفني.

مع التنبيه إلى أن هذا التنوع مرّ بمراحل تاريخية عدة[١].

ثانيا: تقسيم الاستشراق بحسب البلدان، وهذا ذكر لأهمها:

١. الاستشراق الإنجليزي.
٢. الاستشراق الألماني.
٣. الاستشراق الفرنسي.
٤. الاستشراق الأمريكي.
٥. الاستشراق الروسي.
٦. الاستشراق النمساوي.
٧. الاستشراق الإسكندنافي (الدنمارك، النرويج، السويد، فنلندا، وآيسلندا...)[٢].

ثالثًا: أشهر رجال الاستشراق.

١- **بطرس المحترم -أو المبجل-** (١٠٩٣ م - ١١٥٧ م): رئيس (دير كولوني) جنوب فرنسا، وقد تقدم أنه أوصى بترجمة القرآن، وذلك في سنة (١١٤٣ م)، أي: في القرن السادس الهجري، وقد كان يرى أنه لا سبيل إلى محاربة الإسلام بعنف السلاح، وإنما بقوة الكلمة، وهذا لا يكون إلا بمعرفة تراث الإسلام والتعمق فيه[٣].

٢- **جورج سيل -أو سال-** (George Sale) (١٦٩٧ م - ١٧٣٦ م): مستشرق إنجليزي، له ترجمة للقرآن، وزعم بعض من كتب في الاستشراق[٤] أنه لم ينكر نبوة محمد ﷺ، وهذا خطأ،

---

(١) ينظر: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، أ. د. محمد خليفة حسن، (ص٥٩).

(٢) ينظر: تاريخ حركة الاستشراق (٤٤-وما بعدها).

(٣) ينظر: تاريخ حركة الاستشراق، المستشرق: يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم (ص١٣).

(٤) وهو عبد الرحمن بدوي، ينظر: موسوعة المستشرقين (ص٣٥٨-٣٥٩).

بل انطلت عليه خدعة المستشرقين، فهو - أي جورج سيل - أثنى على القرآن، لكن نفى أن يكون وحيًّا، بالإضافة إلى أن مقدمة الترجمة قد حشاها شروحًا وحواشٍ مليئةً بالإفك واللغو، والتجريح[١]، ويؤكد ذلك أن عنوان الترجمة هو (قرآن محمد)، ففضح ادعاؤه من عنوان الكتاب، وقدَّم محمدًا ﷺ على أنه حكيم، وأن دولة الإسلام نشأت بالسيف وحده[٢].

٣- **هاملتون جب** (Hamilton Gibb) (١٨٥٩ م - ١٩٧١ م): مستشرق إنجليزي، ولد في الاسكندرية، له اهتمامات ثلاثة: في الأدب العربي، وبالتاريخ الإسلامي، والفكر السياسي الديني في الإسلام[٣].

٤- **لوي أو لويس ماسنيون** (Louis Massignon) (١٨٨٣ م - ١٩٦٢ م): مستشرق فرنسي، سعى إلى إحياء تراث الحلاج خصوصًا، والتصوف والفرق الباطنية عمومًا، واستهواها[٤].

٥- **هنري لاووست** (Henri Laoust) (١٩٨٣ م - ١٩٠٥ م): مستشرق فرنسي، تخصص في دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية والحنابلة، عمل في دمشق مديرًا للمعهد الفرنسي عشرات السنين، ثم انتقل وحلَّ محَلَّ المستشرق (ماسنيون) في رئاسة لجنة امتحان الأجريجاسيون في اللغة العربية، وفي رئاسة تحرير (مجلة الدراسات الإسلامية)[٥].

٦- **مرجليوث دافيد صمويل** (David Samuel Margoliouth) (١٩٤٠م): مستشرق بريطاني من الغلاة، نشر دراسة (محمد ونشأة الإسلام) وغيرها، وكانت دراساته تجري فيها

---

(١) كما ذكر ذلك نجيب العقيقي في كتابه المستشرقون (٢/ ٤٧).

(٢) ينظر: مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية، د. رياض العمري (١/ ١٧٠).

(٣) ينظر: موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي (ص١٧٤).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص ٥٢٩-٥٣٥).

(٥) ينظر: المصدر السابق (ص٥١٠-٥١١).

روح متعصبة غير علمية، وأثارت سخطًا عليه، ومع ذلك تم تعينه عضوًا للمجمع العلمي العربي في دمشق سنة (١٩٢٠ م)[١].

٧- **إجناس جولد تسهير** (Ignaz Goldziher) (١٨٥٠-١٩٢١م): مستشرق مجري يهودي، ولد في المجر وعاش في ألمانيا، ثم انتدب من ألمانيا إلى سوريا، فصحب طاهرًا الجزائري، ثم ذهب إلى فلسطين، ثم إلى مصر والتقى الشيخ محمد عبده، وتعلم العربية، له كتب، منها: آداب الجدل عند الشيعة، وله أبحاث عن إخوان الصفا، وعن الحلاج[٢][٣].

٨- **رينولد نيكلسون** (Reynold Nicholson) (١٨٦٨ م - ١٩٤٥ م): مستشرق إنجليزي خطير، درس التصوف الإسلامي، وأفاد بأن التصوف يوفر أرضًا مشتركةً بين الأديان، يلتقون بروح التسامح والتفاهم، وهو أستاذ المستشرق (آرثر جون آربري) - الذي سيأتي ذكره -، أغلب أبحاثه في التصوف، وله عدة مقالات في (دائرة المعارف الإسلامية)[٤].

٩- **آرثر جون آربري** (Arthur John Arberry) (١٩٠٥ م - ١٩٦٩ م): مستشرق إنجليزي، برز في دراسة التصوف والأدب الفارسي، عمل في جامعة كمبردج، وفي كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا)، قام بترجمة جديدة للقرآن، كما عمل في وزارة الحرب البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم وزارة الإعلام البريطانية، وكانت له حينئذ دعاية لبريطانيا باللغة العربية والفارسية، وظهر في فلم دعائي[٥].

---

(١)ينظر: موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي (ص ٥٤٦).

(٢) الحسين بن منصور الحلاج: قتل على زندقته سنة (٣٥٩ هـ)، ما روى-ولله الحمد-شيئًا من العلم، انسلخ من الدين، وتعلم السحر، أباح العلماء دمه. ينظر: تاريخ بغداد (٨ / ١١٢)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢ / ٣٠٦)، ولسان الميزان (٥ / ٣١١).

(٣) ينظر: موسوعة المستشرقين، بدوي (ص١٩٧-٢٠٣)؛ والمستشرقون، نجيب العقيقي (٣/ ٤٠-٤٢)؛ وتاريخ حركة الاستشراق (ص٢٤٣).

(٤) ينظر: موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي (ص٥٩٣-٥٩٤).

(٥) ينظر: المصدر السابق، (ص٥-٨).

١٠-**تيودور نيلدكه أو نولدكه** (theodor noldeke) (١٨٣٦م- ١٩٣١ م): شيخ المستشرقين الألمان، له نشاط في الكتابة عن تاريخ القرآن[١]، بل هذا المستشرق له تأثير كبير على الكُتّاب العرب[٢]، وسيأتي الكلام عن هذا الموضوع في افتراءات المستشرقين.

١١-**جيجر أبراهام** (Abraham Geiger) (١٩١٠م-١٩٧٤م): حبر يهودي ألماني متحيز، وآراءه غير قائمة على أسانيد وثيقة، وهذا بشهادة المستشرقين أنفسهم[٣].

١٢-**هانز هينرش شيدر** (Hans Heinrich Schaeder) (١٨٩٦م-١٩٥٧م): له اهتمام وكتابات في التصوف[٤].

١٣-**دانكن بلاك ماكدونلد** (Duncan Black MacDonald) (١٨٦٣م-١٩٤٣م): مستشرق أمريكي، كان منصّرا متعصبا، عمل في إعداد المنصّرين في مدرسة كندي للإرساليات[٥].

---

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، (ص٥٩٥-٥٩٨).

(٢) منهم (محمد أركون)، حيث يقول: «عندما كنت طالبًا في الجامعة اكتشفت لأول مرة كتاب (تاريخ النص القرآني) للمستشرق الألماني (تيورد نولدكه)، وهو كتاب ضخم بمئات الصفحات يطبق لأول مرة المنهجية التاريخية الفيلولوجية اللغوية على النص القرآني...»، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية لمحمد أركون (ص٢٠٤). ينظر: المصدر السابق، (ص٢٢٢-٢٢٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق، (ص٢٢٢-٢٢٣).

(٤) ينظر: المصدر السابق، (ص٣٨٠-٣٨٣).

(٥) ينظر: المصدر السابق، (ص٥٣٨).

المبحث الثاني: أهداف الاستشراق.

لا شك أنه للمستشرقين أهداف يسعون إليها، ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

١- **أهداف دنيوية**: وذلك عبر تنبيه حكوماتهم بنهب خيرات البلاد الإسلامية، خاصةً الثروات المعدنية، والبترولية، والمخطوطات الإسلامية، والتكسب ببيع مذكراتهم وأبحاثهم عن الشرق الأوسط، وكذلك أفلامهم الوثائقية، وهم أيضا يسعون لبسط النفوذ التجاري عبر شركاتهم الخاصة.

٢- **أهداف دينية**: وهذه تظهر جليا في خدمة عقائدهم النصرانية، أو اليهودية، وغرضهم منها الإساءة للإسلام وتشويه صورته، وإخراج المسلمين عن دينهم وتشكيكهم فيه، وظهرت في هذا العصر نتيجة ذلك، وهي خدمة اليهود في قيام دولة إسرائيل، لأنهم هم أول من أشار إلى فكرة قيام دولة يهودية في فلسطين في مؤتمر لندن سنة (١٩٠٧ م).

٣- **أهداف سياسية**: وذلك بالعمل على خدمة دولهم، والتجسس لصالحهم، وتزويدهم بالمعلومات المهمة، وكذلك مهّدوا للاحتلال الغربي لبلاد المسلمين؛ بإضعاف الحالة المعنوية وتماسك الدول الإسلامية؛ بإذكاء النعرات والولاءات المتناحرة والاتجاهات المختلفة[1].

---

(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة (١/ ٤٠٠-٤٠٢).

المبحث الثالث: وسائل الاستشراق المعاصر، ومراكزه.

إن وسائل الاستشراق لا تنحصر فهو دائمو التجديد لأفكارهم ووسائلهم، لكن يمكن أضع جملة من وسائلهم على النحو الآتي:

١- **استخدام الحقل السياسي والعمل فيه**، كمؤثرين في القرارات أو مساندين لها، كأن يكونوا عضوًا في مجالس نيابية، ومستشارين في وزارة الخارجية، كأمثال (لويس ماسنيون)[١]، بل وصل أحدهم - وهو (سانتشت ألبورنوث) - لمنصب وزير في حكومة إسبانيا، ثم إلى مرتبة سفير، كما أصبح المستشرقون يعملون بالاستخبارات أو يتعاونون معها[٢]، وكما تقدم في التعريف بالمستشرق (آرثر جون آربري) فقد كان يعمل في وزارة الحرب ثم الإعلام.

٢- **وسيلة الغطاء العلمي**، وهي سمة أساسية في الاستشراق، ويتفرّع منها وسائل، منها:

- استغلال التدريس.
- إنشاء الكراسي للدراسات الشرقية.
- إنشاء المعاهد المتخصصة في اللغات الشرقية.
- الإشراف على برامج الدراسات العليا.
- تنظيم المحاضرات واللقاءات الفكرية المتنوعة.

وهذه النشاطات المستهدف بها هم الشباب، خاصةً الدارسون والمبتعثون إليهم، وهؤلاء المبتعثون يقفون موقف الطالب المتبع المستمع المطيع للمستشرق، فالتأثير عليه سهل ويسر، بالخداع والمكر، بتمرير أغلاطهم وتحريفاتهم وشبههم، ومن حاول ردّها والاعتراض عليها كانت عقوبته الحرمان من الدراسة والعودة إلى بلده دون إتمام لها[٣]، بل نجد أيضا أنّ الجامعات الغربية

---

(١) ينظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح (ص٨٧)؛ والإرساليات التبشيرية، د. عبد الجليل شلبي (ص١٥١).

(٢) ينظر: المستشرقون الجدد، د. مصطفى عبد الغني (ص٦٨).

(٣) ينظر: الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي (ص٤٨).

في الأقسام المتعلقة بالشرق لا تستعين بالأساتذة المعتدلين، وإنما تتعاقد مع من كان مسايرًا لهم في حربهم ضد الإسلام[١].

أيضا امتد خطر المستشرقين إلى أن عملوا في الجامعات العربية، بل كانوا من رواد المدرسين فيها[٢].

ومن الوسائل التي في حقل العلم والأبحاث:

- تأليف الكتب والمعاجم والموسوعات، وإصدار المجلات.
- عقد المؤتمرات والندوات.
- الدخول في المجامع العلمية، وهي تمكنهم من الاتصال المباشر بالعلماء والمفكرين العرب والمسلمين، لتسريب أفكارهم إليهم.

٣- **استخدام وسائل الإعلام**، وهذا يكون عبر الكتابة في الصحف الغربية، وعبر الوسائل الحديثة.

الخلاصة يمكن حصرها عبر الآتي:

أولا : أصبح الاستشراق بمنزلة المورد الذي يرد إليه الطلاب والدارسون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي؛ فيزرع في قلوبهم الشُبه المختلفة المشككة في النبي ﷺ ورسالته. وفي الوقت نفسه أصبح للمراكز والجامعات الاستشراقية القدرة على متابعة ما يصدر في الشرق عبر الطلاب «والأساتذة العرب المقيمين في الغرب، أو الزائرين، أمثال: نصر أبوزيد، وصادق جلال العظم، وبسام الطيبي، وعزيز العظمة»[٣]، ثم أخيرًا يرسلون نتيجة ما جمعوه من معلومات، وتحليلات

---

(١) كأمثال: محمد أركون، وفؤاد عجمي، وفضل الرحمن، وفدوى ملطي دوغلاس، وغيرهم. ينظر: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، د. مازن مطبّقاني (ص٨٣) (ص٤٩-٥١).

(٢) ينظر لمعرفة أسمائهم وأسماء الجامعات: الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي (ص٤٩-٥١).

(٣) بحث بعنوان: الاستشراق المعاصر وأثره في ظاهرة التطاول على الإسلام، د. مازن مطبقاني (ص ٤٣٨).

للساسة أصحاب القرار. والآن أصبحت متابعة الأفكار والجديد منها أسهل مما كانت عليه بكثير؛ وذلك عبر وسائل التواصل الحديثة.

ثانيا: تم استبدال اسم المستشرق باسم الخبير، أو المستشار، أو الباحث[١]، يعمل في مراكز، أو جامعات، أو معاهد، من أشهرها: جامعة برنستون، ومعهد الشرق الأوسط، ومعهد بروكنجز، ومعهد الولايات المتحدة للسلام، ومركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورجتاون، وجامعة إنديانا بلومنجتون، وجمعية دراسات الخليج، ورابطة الشرق الأوسط لدراسات المرأة، ومؤسسة راند، ومعهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي بإكس إن بروانس، ومركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، ومعهد هدسون، ومعهد الحضري، ومعهد مانهاتن، ومؤسسة الكونجرس الحر، ومؤسسة التراث، ومعهد كاتو، وغيرها كثير[٢].

ثالثا: ظهر الاستشراق في مظهر مخادع، لا يمانع أن يَستغل بعض الدراسات المنصفة، ويستعملها كستار يغطي المغالطات والتحريفات الكثيرة، ليظهر على هيئة جهود علمية بحثت في الإسلام[٣]، ويمكن الاستشهاد بما سبق ذكره في التعريف بالمستشرق (جورج سيل) الذي أثنى على القرآن، لكن نفى أن يكون وحيا.

رابعا: جميع الوسائل السابقة مكملة لبعضها، وتخدم أهدافًا ومصالح مشتركة؛ لأن هذه المراكز والمعاهد، لها تأثير متزايد على السياسات الخارجية للدول، فهي بذلك تبطل دعوى الحياد العلمي؛ لأنها تخدم سياسات معينة، ثم الإعلام هو الإسناد القوي لنشر سموم أفكارهم بين المسلمين.

---

(١) بحث بعنوان: الاستشراق المعاصر وأثره في ظاهرة التطاول على الإسلام، د. مازن مطبقاني، (ص٦٦).

(٢) ينظر: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، د. مازن بن صلاح مطبقاني، (ص٣٣-٤٨)؛ والإسلام الذي يريده الغرب، صالح الغامدي، (ص ٢٢-٢٨).

(٣) ينظر إلى رواد النشاط الاستشراقي الحديث في كتاب: أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، د. صابر طعيمة.

المبحث الرابع: نماذج من افتراءات المستشرقين، والرد عليها.

يمكن إجمال افتراءاتهم على النحو الآتي:

الافتراء الأول: محاولة التدليل على بشرية القرآن أو أنه من تأليف النبي ﷺ، بذكر أنه انطباع ناشئ عن تأثر النبي ﷺ ببيئته، أو أنه اقتبسه من التوراة والإنجيل[(١)]، ويسعون عبر وسائلهم المختلفة إلى الترويج لهذه الأفكار، وهذا ما وقع، فقد تسرّبت وانتقلت إلى الحداثيين أو ما يُسمون بالمفكرين أو الكتاب العرب[(٢)].

---

(١) ينظر: التفسير وموضوعاته في دائرة المعارف الإسلامية، يسري اليبرودي (ص١٣)؛ وافتراءات المستشرقين على الإسلام - عرض ونقد (١٣-١٦)؛ والمذاهب الفكرية المعاصرة (ص٤٢٠-٤٢٥).

(٢) كأمثال: محمد أركون، الذي يدعو إلى فتح النص القرآني على جميع المعاني، أي: أنه متجدد ومؤهل لأن ينتج اتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية. ينظر لكتابه - المسموم فكريا- (تاريخية الفكر العربي الإسلامي) (ص١٤٥)؛ وهناك غيره ممن سار على نحو هذا الاتجاه، مثل: الطيب تيزيني في كتابه: (النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة)، ومحمد عابد الجابري في كتابه: (التراث والحداثة). ومترجم كتب محمد أركون: هاشم صالح في (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني) وفي عدد من مؤلفات علي حرب كـ(نقد النص)، و (نقد الحقيقة)، وفي مجموعة من مؤلفات نصر حامد أبو زيد، مثل: (الخطاب والتأويل)، و (مفهوم النص). وأدونيس في كتابه (الثابت والمتحول). وتركي علي الربيعو في كتابه (الإسلام وملحمة الخلق الأسطورة) ورشيد الخيون في كتابه (جدل التنزيل)، وتلميذ محمد أركون: رمضان بن رمضان في كتابه (خصائص التعامل مع التراث)، ومحمد أحمد خلف الله في كتابه (الفن القصصي في القرآن)، ومحمد شحرور في كتابه (الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة)، وصادق جلال العظم في كتابه (نقد الفكر الديني). وعبد الهادي عبد الرحمن في كتابه (سلطة النص)، وأمين الخولي في مادة تفسير في دائرة المعارف الإسلامية، وحسن حنفي في كتابيه (دراسات إسلامية)، و(مفهوم النص).

ينظر: الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، د. محمد بن سعيد السرحاني (ص١٧-١٨)؛ وينظر لمجموعة من أفكارهم المشابهة لما طرحه المستشرقون في كتبهم الآتية: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي (ص٢٦-٢٧)؛ والفكر الأصولي واستحالة التأصيل (ص٣٤٢-٣٤٣)، كلاهما لمحمد أركون؛ ونقد

=

الرد على هذه المزاعم:

أولا: الرد عليهم يكون أبلغ بالاستدلال بأقوال من خرج من تحت عباءة الاستشراق، وأختار منهم: الكونت (هنري دي كاستري) (١٩٢٧م)[١]، ففي كتابه (الإسلام سوانح وخواطر) يرد على من زعم أن النبي ﷺ أخذ الدين من التوراة والإنجيل فيقول: «وأما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل؛ إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث، وهو مناقض لفطرته»[٢].

ثانيا: -وهو مرتبط بالأول- أن القرآن الكريم متفق عليه بالإجماع المعتبر، ونصه لا اضطراب فيه، ونسخته الموجودة يقرؤها المسلمون جميعًا لا اختلاف فيها، وهو منقول بالتواتر قبل الكتابة أو الرسم بواسطة المشافهة والتلقي، وكتب أول مرة في عهد النبي ﷺ، وهذا ما لا نجده في كتابهم المقدس، فمثلا: المخطوطات من حيث العدد والعمر؛ هناك نحو (١٥٠,٠٠٠) نسخة للعهد الجديد الإغريقي وحده، وهناك نحو (٢٠,٠٠٠) نسخة لكتاب واحد من كتب الترجمة الحبشية للعهد القديم. وكل نسخة من هذه النسخ تختلف عن الأخرى[٣]، وهذا يؤكد الحقيقة القرآنية التي تثبت التحريف والتلاعب، ليس هذا فحسب، بل إن هذه النسخ تختلف في تواريخ نسخها. وكلها بعيدة عن عصر المؤلف بزمن كبير[٤].

الخطاب الديني (ص١٩٧)، ومفهوم النص (ص١١)، وكلاهما لنصر حامد أبو زيد؛ والإسلام وأزمة علاقة السلطة الاجتماعية، برهان غليون (ص١٦٥).

(١) مستشرق فرنسي ولد في (١٨٥٠م). ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقى (ص٢١٠).

(٢) الإسلام سوانح وخواطر (ص٣٥)، نقلا عن الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية، سلطان الحصين (ص٣٥).

(٣) ينظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، د. يوسف الكلاّم (ص٣٠).

(٤) ينظر: مختصر كتاب إظهار الحق، د. محمد ملكاوي (ص١٩-٣٧).

كذلك تبادلته أيدي النسّاخ تبادلًا كبيرًا، دون أن يكون لهم ضوابط منهجية تضبط الخطأ البشري المحتمل[١].

ولأهمية إيضاح الفرق بين القرآن والتوراة والإنجيل (العهدين القديم والجديد) رأيت أن أضع جدولًا يوضح الفروق بينهما على النحو الآتي:

القرآن	العهدان القديم والحديث
١- متواتر بالسند.	١- كلاهما غير متواتر، ولا سند لهما.
٢- كتب في عهد النبي ﷺ.	٢- التوراة مفقودة، والموجود منها كُتب بعد موسى عليه السلام بفترة، أمّا الإنجيل فلم يكتب في عهد عيسى عليه السلام.
٣- لا توجد فيه عقائد وثنية، بل يأمر بالتوحيد (لا إله إلا الله).	٣- فيه فلسفات وثنية: كعقيدة التثليث، وعقيدة الحلول والتجسيد، وذلك باعتراف علماء النصارى المعاصرين.
٤- باق على لغته التي نزل بها.	٤- تغيّرت لغته.
٥- لم يطله التحريف.	٥- فيه التحريف بأنواعه: اللفظي، والزيادة، والنقصان.
٦- لفظه معجز، وفصيح في غاية البلاغة.	٦- يفتقد للفصاحة والإعجاز، وفيه أخطاء تخالف قوانين اللغة.
٧- يمتاز بكثرة حفاظه.	٧- لا يوجد من يحفظه.
٨- خضع لتدقيق وشروط صارمة لقبوله مبكرًا.	٨- لم يخضعا لدراسة إلا متأخرًا جدًا، ولا تجدي نفعًا.
٩- نسخه في العالم متطابقة.	٩- نسخهما الموجودة تختلف، بل تتناقض.

(١) ينظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، د. يوسف الكلاّم (ص٣١).

١٠- فيه آيات بينت تحريف الكتاب المقدس، ومن ثَمَّ فقد أسس فكرة النقد للكتاب المقدس.	١٠- لا حجية لهما؛ لكونهما منسوخين وطالهما التحريف.
١١- يحض على العلم، ولا ينافيه.	١١- لا يحضان عليه، بل يناهضانه.

هذه أهم الفروق وإلا فهناك الكثير[١]، وكلها تؤكد أن مناهج الغرب والمستشرقين الناقدة لتاريخية الإسلام حسب المنطق العلمي الموضوعي غير صالحة لنقد الدين الإسلامي؛ للخلاف الجذري بين الإسلام والنصرانية، من حيث التدوين والنقل والخصوصية والموضوع[٢].

الافتراء الثاني: القدح في مفهوم الإله، فبعضهم على سبيل المثال يقول: «إن إله الإسلام جبار مترفع، بينما إله المسيحية عطوف متواضع، ظهر في صورة إنسان، هو الابن الإله... فعقيدة التثليث المسيحية قرّبت الإنسان من الإله، وعقيدة التوحيد الإسلامية باعدت بينهما، وجعلت الإنسان خائفا متشائما»[٣]. فلا أدري أين الموضوعية وأين عقله حين قال هذا الكلام الذي يخالف الفطرة والعقل.

---

(١) ينظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي (١/ ٥٥-٣٥٥) (٢/ ٥-١٥٠)؛ ومحاضرات في النصرانية، (ص٢٨-٥٢، ٦٣-١٠٩)؛ وقراءة في الكتاب المقدس، (ص٢٢-٣٩٤، ٥١٩-٨٤١)، ومصادر النصرانية، عبد الرزاق بن عبد المجيد (١/ ٨٥-٥٦٧)، (٢/ ٦٨٣-٩٧٤)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد الأعظمي (ص٣٣٩-٢٦٨)؛ ودراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، محمد علي البار (ص١٩٨-٣٨٣)؛ ودراسات في الأديان والنصرانية (ص٢٢٦-٣٦٨)؛ والمسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى، د. لينة الحمصي، (ص٨٩-٢٩٣).

(٢) ينظر: محاولات التجديد في أصول الفقه ودعواته دراسة وتقويمًا، د. هزاع بن عبد الله بن صالح الغامدي (٢/ ٨٨١). وينظر: بحث بعنوان: الاختراق العلماني للعالم الاسلامي، د. محمد عمارة، (ص٦٤١)، ضمن بحوث بعنوان (مستقبل الاسلام في القرن الهجري الخامس عشر، لمؤتمر العام لمؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، الدورة الثانية عشرة، في (٢٤-٢٦/ جمادى الأولى/ ١٤٢٣هـ إلى ٤-٦/ آب اغسطس/ ٢٠٠٢م).

(٣) نقلا عن افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، د. يحي مراد (ص١٩٦)

وبعضهم يجعل مفهوم الإله خاضعًا للتأثير التاريخي، أو للتصورات البشرية، أو عبارةً عن نتاجٍ ثقافيٍّ مرتبط بمشاكل المجتمع[١]، وقد انتقلت هذه الفكرة الضالة إلى بعض الحداثيين[٢].

الافتراء الثالث: التشكيك في عقيدة المسلمين، وشعائرهم التعبدية، فعلى سبيل المثال: (إجناس جولد تسهير) يطرح فكرةَ تاريخيةِ العقائد، وأنها لم تنزل من السماء، وإنما كانت ردة فعلٍ، كما جاء في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام - تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية -) الذي يقرر فيه أن النبي ﷺ أتى بتعاليمَ من عنده، وتلقفها الأتباع من بعده، وفسّروها، وأقاموا أسوارًا من الحجج تُتخَذ ضد من يخالفهم[٣]، وأما (كارل بروكلمان) فيزعم أن شعائر الإسلام مقتبسة مما لدى اليهود، وأن الرسول ﷺ جعلها على نحو ما عند اليهود رغبة في كسب ودّهم[٤].

---

(١) وهذا ما يقرره المستشرق الألماني (جوزيف فان إيس) كما ذكر ذلك عنه محمد أركون في قضايا نقد العقل الديني (ص٣٠٤).

(٢) منهم: (محمد أركون)، حيث يقرر أن مفهوم الإله تبع لفكر المجتمع النهضوي المتحضر؛ ليصبح ميزانًا يعرف به، ليس المفهوم الصحيح للإله فحسب، بل يميز به المفهوم الخاطئ، فيقول -موضحا فكرته السخيفة-: «ويمكن القول بأن التصور الحديث لله يتجلى في الأمل في الانفتاح على أفق الأمل، الأمل بالخلود، الأمل بالحرية، الأمل بالعدالة، الأمل بتصالح الإنسان مع ذاته. هذا هو الله بالنسبة للعالم الحديث والتصور الحديث. وهذه هي صورته السائدة في مجتمع أوربي متقدم، مجتمع تجاوز -بعد معارك طاحنة الصورة... المتهجمة والمكشرة لله والتأله. هكذا تجد أن تصورنا لله يختلف باختلاف المجتمعات والعصور. فإذا كان المجتمع منفتحًا، متقدمًا، مزدهرًا، كان تصوره لله هادئًا، سمحًا، وديعًا. وإذا كان المجتمع يعاني من الفقر والجهل وهيمنة الأب القاسي أو الحاكم الجائر المستبد فإن تصوره لله سوف يكون بالضرورة ضيقًا، عنيفًا، قمعيًا) ينظر: المصدر السابق (ص٢٨٢).

(٣) ينظر: كتابه، (ص٦٧).

(٤) ينظر: تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، د. إسحاق السعدي (٢/٩٠٣-٩٠٤).

الرد على الفقرتين السابقتين:

أولا: ثبت فيما سبق سلامة القرآن، وأنه من وحي الله، وأنه لا يُشابه كتاب غيره، وكلام المستشرقين في مفهوم الإله، مخالف لما جاء فيه، ومخالف للعقل والفطرة، ولواقع الفرقة الناجية المتمسكة بتوحيد الله ودينه، فهم على عقيدة واحدة إلى زمننا هذا ولله الحمد، يقول قوّام السنة الأصبهاني ﷺ (٥٣٥ هـ): «ومما يدل على أنّ أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافا ولا تفرقا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟»[1]. فاتفاقهم يبطل هذه الدعوى.

فالنبي ﷺ نزل عليه الوحي وجاء بعقائد منزلة من السماء، سار عليها أصحابه، ولازالت إلى هذا الزمان محفوظة، وطائفة قائمة عليها لا يضرهم من خالفهم، فمِنَ الخطأ والمغالطة أن يجعلهم المستشرقون ومن تبعهم سواءً بسواء، مثل الأديان السابقة المحرّفة، أو الفرق المنتسبة للإسلام التي أخذت بعقائد الأديان السابقة والفلسفات المنحرفة، أو حتى مشابهين لهم، فهذا جمع بين المختلفين.

ثانيا: أنهم جمعوا بين المفترقات، أي لم يفرّقوا بين عقائد مستحدثة لم تنزل من السماء، وعقائد منزلة من السماء.

ثالثا: بهذه الفكرة أرادوا إثبات أن العقائد نتجت من الفاعلين الاجتماعيين، ليستبدلوا الوحي بالعقل المشرّع، وأقول: هذا هو الداء الذي لا دواء له إلا بالرجوع إلى الوحي والدين الحق؛ لأن

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٩).

العقل المشرّع لا يستطيع أن يقرر العقائد، ودليل ذلك تضاد الأفكار واختلافها وهذا لا ينكره أحد، فالتلميذ يخالف أستاذه، وكل مفكر له أفكاره بحسب عقله، وهكذا، لا تنتهي الأفكار ولا تصل إلى ثبات، فنتيجتها الحيرة والضياع، فهذا التخبط والاختلاف دليل بطلانها، واستقرار وثبات الإسلام الصحيح دليل صحته، بل إن الإصلاح للمجتمعات المسلمة التي كثر فسادها؛ يكون بالرجوع إلى الوحي بفهم السلف، ومثال ذلك من الواقع المعاصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو ما قررته المستشرقة (ناتانا دي لونج باس) بأن دعوة الشيخ محمد متفقة مع ما نص عليه القرآن والسنة[١]، ويقول (جوهان لودفيج بوركهار): «لم تكن مبادئ محمد بن عبد الوهاب مبادئ ديانة جديدة، بل كانت جهوده موجهة فقط لإصلاح المفاسد التي تفشت بين المسلمين ونشر العقيدة الصافية...»[٢].

الافتراء الرابع: الزعم أن الفرق الغالية الباطنية يمثلون اليقظة الصحيحة، والتلبيس بذلك على الناس، وإيهامهم أنهم يمثلون الفكر الصحيح، فمثلًا: يرى (ماسنيون) أن حركتي القرامطة والمعتزلة تمثلان يقظة الفكر الإسلامي بعد اتصاله بالعلوم اليونانية[٣]، ويصف الحلاجَ بأنه كان: «بطلًا أسطوريًّا، وشاهدًا طاهرًا، وصديقًا لله، وخليلًا لله»[٤]. ويرى أحد المستشرقين المعاصرين[٥] أن المسلمين السنّة «رسموا صورة معيارية للإسلام المبكّر لا تتفق مع نتائج البحث العلمي[٦]... واعتبروا أنفسهم على الدوام أوصياء حقيقيين على الدين، ومفسّرين له، وممثلين

---

(١) ينظر: أصول الإسماعيلية، برنارد لويس، ص ٢٥ (مقدمة د. عبد العزيز الدوري).

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين (ص١٣).

(٣) ينظر لكتابها: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، ترجمة: د. عبد الله العسكر (ص٦، ٦١٢-٦٣٦).

(٤) ينظر كتابه: آلام الحلاج (شهيد التصوف الإسلامي)، (ص٣١، ٣٢).

(٥) وهو: المستشرق فرهاد دفتري.

(٦) هذا بالنسبة له؛ لأن المعيار العلمي عنده ينطلق من أسسه الفكرية، بينما المعيار بالنسبة لأهل السنة يختلف؛ لأنه ينطلق من الوحي (القرآن والسنة) بفهم الصحابة.

للإسلام منذ البداية، وأنهم أمة متآلفة ذات قاعدة عقائدية راسخة خرجت منها الفرق المنشقة، وضلّت الطريق»[١]. وهو بهذا قد نصب نفسه مدافعًا عن تلك الفرق، وفي الوقت نفسه مشككًا في الإسلام وأهله، فقد وصف الكتابات التي ذكرت في الفرق الباطنية وعقائدها أنها زائفة، وغير صادقة، ومتحيزةٌ للخلافة السنيّة[٢].

وأما المستشرق (ماكس أبنهايم) الذي ألف كتاب الدروز، فقد وصف دين الدروز بأنه رائع[٣].

وقد تقدم الرد على مسألة جمعهم بين المفترقات، وهم هنا قد ساروا عليها، افتراءً على الإسلام الحق.

الافتراء الخامس: زعمهم أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ مشابهة لدعوة الخوارج، وهو من أخطر افتراءاتهم التي لازال لها صداها وأثرها، كما زعم ذلك المستشرق (براون) (١٩٢٦م)[٤]، والمستشرق (جوستاف جرونيوم) (١٩٧٢م)[٥]، والمستشرق جولد تسيهر (١٩٢١ م)[٦]، والمستشرق (جوتيه)[٧][٨].

وهذه افتراءات الجواب عليها - كما تقدم - أنهم لم يفرقوا بين المفترقات، وهذا خلل في المنهج، ولا يحتاج المقام إلى إيضاح الفرق بين اعتقاد الخوارج واعتقاد الشيخ محمد بن

---

(١) الاسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية، فرهاد دفتري (ص١٦-١٧). بتصرف يسير.

(٢) المصدر نفسه، (ص٤٧-٤٩).

(٣) ينظر: الدروز، ترجمة محمود كبيبو، حيث وصف مؤلفه دين الدروز بأنه رائع (ص١٢).

(٤) براون، إدوارد جرانفيل (١٨٦٢م-١٩٢٦م): مستشرق إنجليزي تخصص في الأدب الفارسي. ينظر: موسوعة المستشرقين (ص٧٩)، والمستشرقون نجيب العقيقى (ص ٨٠-٨٣).

(٥) مستشرق نمساوي له كتاب حضارة الإسلام. ينظر: موسوعة المستشرقين (ص١٨٢).

(٦) تقدم التعريف به.

(٧) مستشرق فرنسي جغرافي ومؤرخ. ينظر: موسوعة المستشرقين (ص١٩٤).

(٨). ينظر للاستزادة في معرفة مزاعمهم والرد عليها: موقف المستشرقين من الافتراق والفرق (ص٣٨٧-٣٩٣).

عبد الوهاب فهو ظاهر، ويكفيني أن أثبت شهادات بعض المستشرقين في إبطال هذا الافتراء، منهم: (جوهان لودفيج بوركهار)[١]، الذي قرر وجود الفرق بينهما، وكذلك المستشرقة (ناتانا دي لونج باس)، فقد نفت أيضا الصلة بين دعوة الشيخ محمد وبين الجماعة المعاصرة التكفيرية[٢]، وهناك غيرهما[٣].

الافتراء السادس: زعمهم أن السنة كتبت بعد مئتي سنة، وهدفهم التشكيك في صحتها أو تكذيبها.

والجواب عليهم: أن الكتابة بدأت منذ عهد النبي ﷺ بصورة خاصة، ولم تبق السنة النبوية مهملة طوال القرن الأول، وإنما كانت تكتب كتابة فردية في عهد الرسول ﷺ، وعهد الصحابة والتابعين، وحُفِظت في الكراريس والصحف بجانب حفظها في الصدور[٤].

---

(١) ينظر: مواد لتاريخ الوهابيين (ص١٣).

(٢) ينظر لكتابها: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، ترجمة: د. عبد الله العسكر (ص ٦٣٥).

(٣) ينظر للاستزادة: موقف المستشرقين من الافتراق والفرق، د. مسفر بن سعيد لسلوم (ص٢٩١)؛ وموقف المستشرقين من الافتراق من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٩٣-١١٥)؛ وتقريرات أئمة الدعوة في مخالفة مذهب الخوارج وإبطاله، د. محمد هشام طاهري (ص١٠٨ وما بعدها).

(٤) ينظر للاستزادة: كتابة السنة النبوية في عهد النبي ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية (ص٢٨).

ودلّ عليها أحاديث السماح بالكتابة[١]، كحديث عبد الله بن عمرو ﷺ لما نهته قريش عن الكتابة، كون النبي ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسك عن ذلك، وذكر ذلك للنبي ﷺ فأومأ بإصبعه، وقال: «**اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما خرج منه إلا الحق**»[٢]، وهناك غيره[٣].

ثم ليس بصحيح أن الكتابة بدأت في سنة مئتين للهجرة، بل كانت قبل ذلك في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١ هـ)، فقد كتب في رسالته إلى أبي بكر بن حزم يأمره ويحثه على تدوين الحديث[٤]، وأمر الإمام الزهري (١٢٤ هـ) بجمع الحديث، وكتبها في دفاتر وأرسل بها إلى الأمصار[٥]، ثم توسع أكثر في القرن الثالث الهجري.

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٦٥١٠)، وأبو داود في سننه (٣٦٤٦)، والحاكم في المستدرك (٣٥٧)، وصححه ووافقه الذهبي، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٣٢).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٦٥١٠)، وأبو داود في سننه (٣٦٤٦)، والحاكم في المستدرك (٣٥٧)، وصححه ووافقه الذهبي، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٣٢).

(٣) منها: حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اكتبوا لأبي شاه» أخرجه: البخاري (٢٤٣٤)؛ ومسلم، (١٣٥٤) وحديث ابن عباس ﷺ، وفيه: لما اشتد برسول الله ﷺ الوجع قال: «ائتوني بكتابٍ أكتبْ لكم كتابًا لا تضلوا بعده» أخرجه البخاري (١١٤).

(٤) تقدم تخريجه، وهو في البخاري. وينظر: تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري (ص٨١-٨٦).

(٥) ينظر: تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. محمد بن الصادق (١٤١٨-١٤١٩).

المبحث الخامس: سبل مواجهة الاستشراق المعاصر.

إن أفضل طريق في مواجهة الاستشراق هو مقارعتهم بالحجة والعلم، مع الإنصاف والحكمة، وهذا من العدل، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وهناك وسائل مهمة معينة في مواجهة الاستشراق، منها:

١- عبر المؤسسات التعليمية، وذلك بتخصيص الباحثين، وإنشاء مراكز أو لجان لمتابعة ما يصدر حديثا من مراكز الاستشراق والرد على افتراءاتهم، وتشجيع أيضا الباحثين للمشاركة في المؤتمرات ومعرفة ما يستجد مع الرد على ما يلاحظونه من أخطاء فربما ينفع الله بها.

٢- توعية الناس وتبصرتهم بخطر الاستشراق، وخاصة بربط أفكار المستشرقين بما يبثه عملاؤهم أو المتأثرين بهم من أبناء المسلمين، حتى يكونوا على حذر منها ويرتفع الوعي بين الناس.

٣- تنظيم ندوات ومؤتمرات في الغرب، لتعريف الغرب بالدين الإسلامي.

٤- التواصل وترتيب زيارات مع الأكاديميين الغرب وشرح الإسلام لهم وإزالة الأفكار الخاطئة التي عندهم.

٥- إنتاج أفلام تعريفية وثائقية بإشراف متخصصين شرعيين في العقيدة والاستشراق، وبلغات الغرب.

٦- إنشاء مواقع عبر الشبكة ووسائل التواصل الحديثة تكون مخصصة لعرض الدين الصحيح، وإبطال الأفكار الخاطئة عنه.

الفصل الرابع

التغريب.

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول**: مفهوم التغريب ونشأته، وأهدافه، ووسائله.
- **المبحث الثاني**: نماذج من صور التغريب المعاصرة في العالم الإسلامي، والرد عليها.
- **المبحث الثالث**: موقف التغريبيين من قضايا المرأة المسلمة.
- **المبحث الرابع**: سبل مواجهة التغريب.

المبحث الأول: مفهو م التغريب ونشأته، وأهدافه، ووسائله.

المطلب الأول: مفهوم التغريب ونشأته.

مفهوم التغريب:

هو نشاط عام لتوجيه المسلمين نحو الحضارة الغربية بما يخالف عقيدة المسلمين وقيمهم وأخلاقهم، وثقافتهم، عبر أساليب ووسائل متنوعة.

أو هو طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية[١].

أو هو السعي إلى نقل المجتمعات المسلمة في سلوكياته وممارساته، السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأسرية، والعقدية، من أصالتها الإسلامية إلى تبني الأنماط الغربية في الحياة[٢].

أو هو: حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غريبة، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بالثقافة العالمية أو الفكر الأممي[٣].

وهذا التغريب أو تأثّر المسلمين بالغرب جاء خبره في حديث الرسول ﷺ: «**لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!**»[٤].

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها، محمد محمد حسين (ص١٠١).

(٢) ينظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، علي النملة (ص٤٨).

(٣) ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري (ص٢٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه.

مصطلحات مشابهة:

العولمة: وهي بمعنى تفكيك العالم وبناؤه من جديد على الطريقة الأمريكية أو الغربية، أو هي فك الثوابت وتحطيم الهويات[١]، إلا أن بعض الباحثين يحصر العولمة في النشاط الأمريكي[٢].

نشأة التغريب:

أخذ التغريب في الظهور مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، مرتبطا بالحركة الإمبريالية[٣] الأوروبية، وظهر في المعجم السياسي الغربي باسم (westernization)، ويعنون به نشر الحضارة الغربية في البلاد الواقعة تحت سيطرتهم عبر إزالة كل ما من شأنه المحافظة على دين وقيم وأخلاق ذلك البلد المحتل؛ وهدفه استمرار سيطرتهم، حتى بعد إعلان الاستقلال ظاهريا[٤].

مراحل التغريب في بلاد المسلمين:

مرّ التغريب في بلاد المسلمين بثلاث مراحل، وهي على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة الاحتلال المباشر، وفيها نجح الغرب في محاولاته لتغريب المجتمع، لكن لم ينجح في ترسيخ قدمه والسيطرة العسكرية.

المرحلة الثانية: مرحلة بناء أولياء الاحتلال، وفيها اجتهدوا بتربية نخبة من أبناء جلدة المسلمين تتولى تعميق الفكر الغربي في المجتمع، كما اجتهدوا في إبعاد المخلصين الذين قادوا مسيرة الجهاد لطرد المحتل.

---

(١) ينظر: مخاطر العولمة على الأسرة، د. صلاح الدين سلطان (ص٩).

(٢) ينظر: السابق (ص١٢).

(٣) هي حركة استعمارية سياسية حكومية لتوسيع السلطة والحكم خارج حدودها، سواء كان مباشرا (التقليدي) أو غير مباشرا (الحديث)، كالسيطرة على الأسواق والبضائع. ينظر: معجم الأفكار والأعلام، هتشنسون (ص٤٤).

(٤) ينظر: التغريب الثقافي، آثاره وسبل مواجهته، أ. د. حذيفة عبود السامرائي (ص٦).

المرحلة الثالثة: مرحلة جهود أولياء الاحتلال، فقد كان لهم جهود تدعوا إلى التغريب - كما سيأتي بيانه قريبا[١].

المطلب الثاني: أهداف التغريب.

تهدف حركة التغريب إلى الوصول لأمور كثيرة، منها:

١- إثارة الخلافات والخصومات بين العرب والمسلمين.

٢- رد التراث الإسلامي إلى الأديان والفلسفات (الحضارات) القديمة؛ وهذا يبيّن سبب اهتمام التغريب بدراسة عالم ما قبل الإسلام وإحيائه في صور شتى، كصورة الفرعونية والجاهلية، والوثنية، والفارسية المجوسية القديمة، ومن أهداف ذلك تفريق المسلمين عبر إرجاع كل قطر إلى جاهليته القديمة، إضافة إلى إحياء النعرات القديمة بدلا من الإسلام.

٣- إحياء فكرة الإنسانية، وتجميع الناس عليها؛ لكي تزول الفوارق وتذوب العقائد، فيسهل التأثير على مجتمعات المسلمين، ويستعملون في بث هذه الفكرة عبارات خدّاعة، فيقولون: هذه الفكرة من أجل السلام، أو تصبح الأرض وطنا للجميع، أو نحو ذلك من العبارات.

٤- نشر ودعم كل الدعوات الهدامة والمذاهب المنحرفة، كالدارونية، والشيوعية، والوجودية، والبهائية، والقاديانية.

٥- السعي لتمزيق وحدة الفكر العربي الإسلامي بعزل الأخلاق، والتربية، والأدب، والاقتصاد، وجميع المجالات عن الدين.

٦- السعي إلى إضاعة المبادئ والقيم الإسلامية؛ تمهيدًا لنشر الإلحاد والإباحية، والدعاية لهما، لأن الإنسان إنما يكون له وجوده وشخصيته بتلك القيم الإسلامية؛ فإذا انهارت انهار

---

(١) ينظر: مشكلة الغلو في الدين (٢/ ٥٨١-٥٨٣).

الإنسان الذي هو نواة المجتمع، وانهار المجتمع وانفلت، وحينها يصبح الرجوع بالمجتمع وتصحيح أفهامه مهمة صعبة -والله المستعان[1].

المطلب الثالث: وسائل التغريب.

يعتمد التغريب على وسائل كثيرة، يمكن إجمالها في وسيلتين:

الوسيلة الأولى: التغلغل عبر التعليم ودرو الثقافة، والإعلام بجميع أنواعه الحديث والقديم، ومن صور التغلغل في التعليم إنشاء المدارس الأجنبية ودعمها، وتغيير المناهج بما يحقق أهدافهم.

الوسيلة الثانية: عبر الاحتلال المباشر وغير المباشر، فالمباشر يكون بفرض الثقافة بالقوة، وهذه الوسيلة تنتهي بخروج المحتل ظاهريًّا، ولكن قبل خروجه يتخذ أولياء يُمكِّنهم من السلطة، والإعلام، ومنابر الثقافة -كما تقدم في الوسيلة الأولى-، إضافة إلى الوسائل الأخرى التي هي في معنى الاحتلال غير المباشر.

وعملاء التغريب الذي استعملهم الاحتلال طائفتان:

الطائفة الأولى: النصارى العرب، كأمثال: (شبلي شميل اللبناني) (١٩١٧ م)، و(سلامة موسى القبطي) المصري الاشتراكي (١٩٥٨ م)، و(فرح أنطون إلياس النصراني) (١٩٢٢ م)، و(جورجي زيدان اللبناني) (١٩١٤ م).

الطائفة الثانية: من داخل الإسلام، وهم على اتجاهين:

الأول: اتجاه إسلامي، وهذا الاتجاه قد يُطلق عليه وعلى أتباعه اسم (العقلانية الإسلامية)، أو (المسلمون المعاصرون)، أو (الوسطية العصرانية)، أو (المحايدون العصرانيون)، وقد يطلق

---

(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، د. غالب عواجي (١/ ٤٥٢-٤٥٣)؛ وأضواء على الثقافة الإسلامية (ص٢٢٦).

عليه أيضًا (حركات تطويرية، أو تجديدية، أو تحديثية[١]، أو تنويرية)، أو (الإسلاميون التقَدميُّون)، أو (أصحاب الفكر الإسلامي المستنير)[٢]. فهم يؤمنون بالإسلام.

و**العصرانية** أعني بها: أيَّ فكرٍ أو وجهةِ نظرٍ في الدين، تتبنى الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافي المعاصر يستلزم إعادة تأويل الدين وأصوله التقليدية، ومحاولة التوفيق بينها وبين المفاهيم الفلسفية والعلمية الحديثة السائدة، وذلك سعيًّا إلى تطويع الدين لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعها لتصوراتها، ووجهة نظرها في شؤون الحياة[٣].

وتكمن خطورة هذا الاتجاه في تقريبه المفاهيم الغربية الحديثة[٤]، وفي أنه يتكلم باسم الدين ولا يعاديه، ويزعم أن ما يقرره موافق للصواب ولا يخالف الدين.

ومن ملامح هذا الاتجاه ما يلي:

١- تقديم العقل، والنزعة إلى التجديد في الأصول العقدية، وأصول التشريع.

٢- الجرأة على إثارة الشبهات، والفتاوى، والقول على الله ﷻ بغير علم، ومحاولة تغيير الأحكام التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة، مثل: عقوبة المرتد، وفريضة الجهاد، والحدود، وغير ذلك، فضلًا عن موضوع الحجاب، وتعدد الزوجات، والطلاق والإرث... إلخ، وقد طلبَ أصحاب هذا الفكر إعادة النظر في ذلك كله، وتحكيم العقل في هذه الموضوعات.

---

(١) ينظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي سعيد (ص٩٦-٩٧)؛ والموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، د. مفرح القوسي (ص٣٤-٤٨).

(٢) ينظر: حقيقة الفكر الإسلامي (ص١٧٨).

(٣) ينظر: مفهوم تجديد الدين (ص٩٦-٩٧)؛ والموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية (ص٣٤-٤٨).

(٤) ومما يؤكد ذلك أن التيار العَلماني الحداثي المتطرف يشجّعه، لا لأنه متفق معه تمامًا، ولكن ليكون ممثلًا للتيار الإسلامي بدلًا من التيار السلفي السني، الذي لا يقبل حداثةً في الفكر والثقافة تخالف نصوص الشرع وثوابته.

٣- الدعوة إلى حرية الفكر، والتسامح الديني، والترويج لأصحاب المذاهب المنحرفة، والأديان والنحل الضالة.

٤- تأويل القرآن والسنة تأويلًا عقليًّا جديدًا[١].

ويجدر بنا التنبيه إلى صعوبة ضبط هذا الاتجاه الحديث ضبطًا دقيقًا؛ لأنهم لا يلتزمون بمنهج أو اتجاه واحد، فقد نجد أكثر من رأي ومذهب، وكلٌّ يعتمد على اختيار ما يراه مناسبًا[٢]، فضلًا عن تفاوتهم في طرح الأفكار، فمنهم مغالٍ، ومنهم دون ذلك، وقد يكون بعضهم ممن يرُدُّ على المستشرقين والملاحدة، وهذا لا يلزم منه صواب منهجه، مع جهودهم المشكورة في الرد عليهم، لكن لا بد في مقام التعليم بيان خطر هذا الاتجاه وما قد يتسرب عبر ستار الدين إلى الناس؛ فينخدعون بهم، وهذا أمر يخطئ فيه كثير من الناس، ولا يفطنون إليه.

ومن رواد هذا الاتجاه:

١- **رفاعة الطهطاوي** (١٨٧٣ م): الذي مكث في فرنسا خمس سنوات، وتأثّر بحضارتهم، ثم عاد إلى مصر وأسس حركة النهضة، وألّف كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، وأُطلِق عليه لقب رائد التنوير في العصر الحديث، وألّف أيضا كتابه: (المرشد الأمين للبنات والبنين)، طالب فيه باشتراك واختلاط البنات مع البنين في الدراسة[٣].

٢- **سيد أحمد خان** (١٨٩٨ م): الذي طوّع الإسلام ومفاهيمه لموافقة قيم الغرب وآرائه، بجرأة وصراحة كبيرة في كل المجالات، سواء أكانت عقدية أم فقهية[٤].

---

(١) ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، أ. د. ناصر العقل (ص٥٥-٥٨).

(٢) ينظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الاسلامية في العصر الحديث (ص١١٠).

(٣) ينظر لكلامه في كتابه: (المرشد الأمين للبنات والبنين)، حيث يقول: (ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معا...) (ص١٤٣) ط: دار الكتب المصري، (١٤٣٣هـ).

(٤) ينظر: الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية (ص١٢٣-١٣١).

٣- **علي عبد الرّازق** (١٩٦٦ م): أحد شيوخ الأزهر، تأثر بالمستشرق (هاملتون جب)[١] وبغيره، ظهر ذلك في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، حيث يقول: «وإذا أردت مزيدًا في هذا البحث، فارجع إلى كتاب الخلافة للعلامة السير (توماس أرنولد)، ففي الباب الثاني والثالث منه بيان ممتع ومقنع»[٢]، فهو ينقل عن أحد المستشرقين، ويوافقه في رأيه ورأي العلمانيين في فصل الدين عن الدولة.

٤- **جمال الدين الأفغاني** (١٨٩٧ م): وهذا انساق خلف الشعارات الغربية الخادعة، وله أخطاء، حتى في رده على نظريات الإلحاد كان موقفه ضعيفا، وكان يبالغ في الانحياز للعقل، ويفسر بعض الآيات بما يحكم به عقله، كقوله بجواز الربا[٣].

٥- **محمد إقبال** (١٩٣٨ م)، كان له أثر في تقريب المفاهيم الغربية الحديثة[٤].

الاتجاه الثاني: فهو **علماني أو حداثي**[٥]، ومن أبرز رموزه ما يلي:

١- **طه حسين** (١٩٧٣ م): في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)، دعا إلى الاتصال بأوروبا لتكون مصر جزءًا من أوروبا، لفظًا، ومعنى، وحقيقة، وشكلًا[٦]. وفي كتابه (الأدب الجاهلي) الذي

---

(١) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (ص٢٨٢-وما بعدها).

(٢) الإسلام وأصول الحكم (ص٤٣).

(٣) ينظر للاستزادة: موسوعة المذاهب الفكرية (ص٣٧٦-٣٧٧)؛ والعصرانية، د. عبد العزيز القرني (ص١٨٨-١٩٦).

(٤) ينظر أنموذج ذلك: تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، (ص٥ وما بعدها).

(٥) هو مذهب أو اتجاه يدعو إلى فكرة التحديث -بزعمهم- في جميع المجالات، بتنحية الدين وإحلال الفكر العقلي بمختلف مجالاته بدلا منه؛ ونزع القداسة عن كل شيء، وهو مصطلح غير مستقر، متحرك وشمولي، يشمل كل التيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية، فأحيانًا تعني الحداثة الليبرالية، وأحيانا القومية، وأحيانا تعني الاشتراكية، وأحيانا تعني الشيوعية بكل تياراتها، وأحيانا تعني العلمنة بمعناها الصرف-فصل الدين عن الدولة. ينظر: الحداثيون العرب (ص٢١-٢٢)؛ تشكلات العلمانية في المسيحية والإسلام والحداثة، طلال أسد (ص٢٨).

(٦) ينظر: مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين (ص٣٣).

ردّد فيه آراء (مرجيليوث دافيد صمويل)[١] استخدم مناهج النقد الغربية التي انتقلت إلى الدراسات العربية، خاصة لنقد مصادر الإسلام، كالقرآن[٢]، ونتج من دراسات (طه حسين) مغالطة حقائق، منها: زعمه أن الشعر الجاهلي منحول ومصطنع بعد ظهور الإسلام؛ إذ لم يكن نابعًا من حياة العرب التي سبقت بعثة النبي ﷺ، وعلى إثر ذلك قرر أن القرآن يعبر عن حال البيئة التي عاشها النبي ﷺ فقط لا يتعدّاها[٣]، كما زعم أن القراءات السبع ليست من الوحي، وأرجع أصلها ومصدرها إلى اللهجات واختلافها؛ ولذا حُقَّ للناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها، ويقبلوا بعضها[٤]، وهو يهدف بذلك إلى القول ببشرية القرآن ومحليته لا عالميته[٥]، ثم تطورت فكرة نقد الدين ونصوصه تِبَعًا، فانطلقت شرارتها منذ عام (١٩٧٩ م)[٦]، ثم تتابعت إلى أن أصبحت ظاهرة عند أكثر الحداثيين[٧].

٢- **زكي مبارك** (١٩٥٢ م): زعم في كتابه (النثر الفني) أن القرآن من وضع الرسول ﷺ، وأنه ليس محفوظا، فهو كالإنجيل والتوراة.

---

(١) في كتابه: (أصل الشعر العربي).

(٢) ينظر: بحث بعنوان: المفردة القرآنية كأداة لتحليل الخطاب، عبد الرحمن حاج، ضمن مجموعة بحوث تحت عنوان: المناهج الحديثة في الدرس القرآني، (ص١٧٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٧٣).

(٤) ينظر: في الأدب الجاهلي (ص٩٥).

(٥) ينظر للاستزادة في تحليل هذا القول والرد عليه: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، (ص٢٣٤-٢٤٥).

(٦) فقد بدأت من محمد أبو القاسم حاج حمد، ثم بمحمد أركون، ومحمد شحرور، وغيرهم، ينظر: بحث بعنوان: المفردة القرآنية كأداة لتحليل الخطاب، عبد الرحمن حاج، ضمن مجموعة بحوث تحت عنوان: المناهج الحديثة في الدرس القرآني، (ص١٨١).

(٧) المصدر السابق، (ص١٨٢).

٣- **أمين الخولي** (١٩٦٦ م): زعم أن القصص القرآني لا يتفق مع الواقع التاريخي، وأنه يدل على جهل الرسول ﷺ بالتاريخ.

٤- **سلامة موسى** (١٩٥٨ م): دعا في كتابه (البلاغة العصرية واللغة العربية) إلى إلغاء الفُصحى واستبدال العامية بها، وإلغاء قواعد الإعراب والنحو.

٥- **زكي نجيب محمود** (١٩٩٣ م): حيث دعا في كتابه (خرافة الميتافيزيقيا) إلى التزام المنهج العلماني الذي يرفض الدين.

٦- **توفيق الحكيم** (١٩٨٧ م): ردّد أفكار الماسونية العالمية في تمييع الأديان، وعدم الاعتداد بالإسلام كدين وحيد للنجاة.

٧- **د. حسن حنفي** (٢٠٢١ م): كان مشروعه قائمًا على تفسر الإسلام تفسيرا شيوعيا علمانيا[١]، خارجًا عن مفهوم التوحيد، زاعمًا أن دعوة النبي ﷺ حركة اجتماعية مضطهدة[٢]، وهذه مغالطة لحقائق يعرفها الجميع؛ وذلك أن النبي ﷺ لم يكن مضطهدًا ولا مهمشًا قبل البعثة، بل كان من أشراف القوم، وكانوا يسمونه الصادق الأمين[٣]، كما أنه لم يكن للنبي ﷺ أي حركة اجتماعية في الأصل، ولم يطلب من المشركين أي مشاركة، لا سياسية ولا غيرها، بل على العكس، عرضوا عليه المشاركة والمال، وأن يكون ملكا عليهم، كما في قصة النبي ﷺ

---

(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة (٤٤٧-٤٥٠).

(٢) حيث يقول: «لقد كان الدين باستمرار وسيلة للتغيير الاجتماعي، والسياسي، والثقافي، وحركة اجتماعية مضطهدة أو مهمشة في المجتمع ضد قوى التسلط والطغيان، أمثال: نمرود، وهامان، وأبي جهل، وأبي لهب وأشراف مكة الذين اتهموا الرسول ﷺ بتأليب العبيد عليهم...» الإسلام السياسي بين الفكر والممارسة، ضمن فصول لبحث معنون بـ: الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي (ص٥٥).

(٣) وهذا مشهور في كتب السيرة، خاصة في قصة وضع الحجر الأسود حين أرادوا إعادته بعد الانتهاء من بناء الكعبة، حيث أشار عليهم ﷺ أن تأخذ كل قبيلة من ناحية الثوب الذي حمله بنفسه ﷺ ووضعه بيده. ينظر: الروض الأنف (٢/ ٢٦٣).

مع أبي الوليد عتبة بن ربيعة[١]، وفي نهاية الأمر لم يقبل منه ذلك النبي ﷺ، بل قرأ عليه القرآن وبلَّغه الحجة.

مراكز التغريب المعاصر:

هناك مراكز حاضنة وداعمة للتغريب بأساليب متنوعة، وهي مؤسسات تعليمية وثقافية تروج للغرب ولأفكاره، وأذكر بعض النماذج لهذه المراكز، كالآتي:

١- **الجامعة الأمريكية**: وقد بدأت تنتشر في بلاد المسلمين، مُكَرِّسةً اهتمامها في التخصصات التي لا يحتاجها المسلمون، كالأدبية، والإعلام، والنفسية، ونحوها.

٢- **كلية فكتوريا بالإسكندرية**: تحمل اسم ملكة بريطانيا (فكتوريا)، تأسست بقرار من الحاكم البريطاني لمصر (اللورد كرومر)، وفيها تم جذب أبناء العائلات الأثرياء ووجهاء البلد، ووصل الأمر بها إلى منع التحدث باللغة العربية داخل الكلية، وإصدار العقوبات على من يخالف ذلك، وفيها أيضا تم فرض التقاليد الغربية في الملبس والمظهر، وقد تخرج منها كبار الممثلين السينمائيين الذين لهم تأثير كبير في المجتمع[٢].

٣- **المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي**: يعمل هذا المركز تحت مظلة الأمم المتحدة، ويسعى إلى تغيير الأفكار والنَّزعات، إلى جانب تغيير الأوضاع المادية[٣].

---

(١) تقدم تخريجها.

(٢) ينظر للاستزادة في معرفة الكلية: مقال في الشرق الأوسط بعنوان: كلية فيكتوريا... قرن من التعليم البريطاني في مصر، داليا عاصم، (الاثنين، ٢٥-ربيع الثاني-١٤٣٨هـ/ ٢٣-يناير-٢٠١٧م). وينظر: دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية (ص٧٣-٧٤).

(٣) ينظر حصوننا مهددة من داخلها (ص٢٠).

المبحث الثاني: نماذج من صور التغريب المعاصرة في العالم الإسلامي، والرد عليها.

شملت صور التغريب جميع مجالات الحياة، وكانت على النحو الآتي:

أولا: المجال العقدي والفكري:

وهذا هو الأهم هنا، خاصة للمتخصصين، فأقول: التغريب له صور كثيرة، ومن أخطرها القدح أو التشكيك أو إزاحة مصادر التلقي، -وقد تقدم ذكر بعض افتراءات المستشرقين، والتغريبيّون لا يخرجون عن تلك الافتراءات يرددونها في كتبهم، فهذا (طه حسين) في كتابه (في الشعر الجاهلي) يسخر بالقرآن الكريم، ويشيد بالإلحاد الغربي والزندقة، وكذلك (زكي الميلاد) في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) يخاطب النبي ﷺ بسوء أدب، ويصف سوَّر القرآن بأنها تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى، واليهود، والوثنيين، وكذلك (محمد أركون) يشكك في القرآن، حيث يقول: «حتى القرآن نفسه ينبغي أن يفتحوا أعينهم أخيرًا، وينتبهوا إلى أنه مكتوب بلغة طبيعة بشرية هي هنا اللغة العربية، بل مكتوب باللغة العربية القديمة...»[(١)].

ومنهم أيضا (أدونيس)[(٢)]، الذي يقرر أن الخطوة الأولى في تحرير الإنسان هي في تحريره من الدين، ونقده الوحي؛ ليحل محله المذهب الإنساني[(٣)].

الشاهد أن من صور التغريب نشوء هذه الأفكار وهذه التيارات أو المذاهب الفكرية في العالم الإسلامي والعربي، ولا شك أنها تأثرت بالمذاهب النقدية الغربية[(٤)]، ولم تنفك عنها[(٥)].

---

(١) قراءات في القرآن، محمد أركون (ص٢٧٢).

(٢) اسمه في الأصل (علي أحمد سعيد): نُصَيري باطني، تسمى باسم (أدونيس) نسبة إلى وثن الخصب اليوناني. ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث (ص٦٩٨)، نقلا عن حركة التغريب (ص٤٧).

(٣) ينظر: الفلسفة والنص (الوحي في دراسة الفلسفة العربية المعاصرة) د. حسن الأسمري (ص٣٩٦).

(٤) بدءًا من (ديكارت) و (كانت) و (نيتشه)، ووصولًا إلى الفلسفة البنيوية، وما بعدها متأثرين بـ(ميشال فوكو).

(٥) ينظر: حسن حنفي ثورة العقيدة وفلسفة العقل، علي أبو الخير (ص١٥٢).

فأزاحوا مصادر التلقي وجميع الأصول وقطعوا الصلة بها؛ ليحل بدلًا منها العقل المشرّع في كل المجالات، وفق المنهج الفلسفي الغربي الحديث، فالعقل بالنسبة لهم هو الذي ينتج الثقافة، وأما النص القرآني -كما يسمونه- فهو مفتوح على جميع المعاني، أي: أنه متجدد ومؤهل لأن ينتج اتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية[١].

ونتيجة هذا الاعتقاد هي الوصول إلى مفهوم العدمية، التي تنزع القداسة عن الكتاب والسنة والقيم الإسلامية، وتجعلهما من قصص الماضي.

ومما يجب معرفته، أن هذه التيارات في تعاملها مع مصادر التلقي، لها اتجاهان:

الأول: (**لا تاريخي**)، أي: يقفز إلى الفكر الغربي صراحة، مجتازًا الظاهرة الإسلامية - كما يسمونها -، ولا يلقي لها بالًا، بل يعتبرون مجرد نقدها ودراساتها هو تخلف ورجعية.

الثاني: (**تاريخي**)، يتدرج في طرح الفكر التغريبي وفق مراحل واقعية تاريخية حتمية، فيبدأ بنقد الإسلام ومشاكله الكلاسيكية[٢]، ثم ينتقل إلى مرحلة التقَدُّمية[٣].

وهذا الأخير أصبح هو الاتجاه الأكثر خطورة؛ لأنه ارتبط بالتراث الإسلامي- الوحي - نقدًا وتحليلًا؛ وأصبح مستودعًا للمشتبهات والشبهات.

الرد على الأفكار التغريبية:

١- يلاحظ مما سبق من الأفكار؛ أنها في أصلها إسقاطات لمفترقات بين أمتين تختلفان في المصادر، والواقع يُرجَع إليه في كل حين، ويثار من خلال وسائل النشر المتنوعة، خصوصًا إذا

---

(١) ينظر: تاريخية الفكر العربي الاسلامي (ص١٤٥).

(٢) يقصدون بهذه العبارة أي فكر يدعو للتمسك بما هو قديم.

(٣) وهذا التقسيم نقلته من تقرير أحد المنادين بالاتجاه الثاني وهو: هشام صالح، ينظر لتعليقه في حاشية كتاب (من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي)، لمحمد أركون، (ص٢١-٢٢).

علمنا أن أصحاب هذا الاتجاه أصبح لهم حضور قوي في السياسة، والفكر، والإعلام، حتى في الجامعات.

وهذا الأمر ناتج عما أفرزه واقع الحال في أوروبا في القرن التاسع عشر[١]، حين رفضت الكنيسة أي دراسات تنقد الكتاب المقدس، فأسقطته على واقع المسلمين متجاوزة كل الفروق، ونادوا إلى إخضاع القرآن والسنة للنقد، كما نقدها الفلاسفة الغربيون[٢]، فلم يفرّقوا بين القرآن وبين الكتب الأخرى (التوراة والإنجيل)[٣] - وقد تقدم قريبا إبطال هذه الشبهة.

٢- أن إزاحة الكتاب والسنة يقوم أيضًا على فكرة خبيثة، المسماة بـ (نظرية المقاصد أو الوسائل)، وهي في نظرهم ليست من أجل استخراج الحكم الشرعي من النوازل - كما هو معلوم -، بل جاءت لفك القيد من سلطة النص، ومن أجل تحقيق المصلحة، وتغيير الأحكام بحسبها[٤]، ولهدم أدوات الاجتهاد، واستبدالها بأصول غربية. يقول (محمد الجابري): «إن المطلوب اليوم هو تجديدٌ ينطلق لا من مجرد استئناف الاجتهاد في الفروع، بل من إعادة تأصيل الأصول من إعادة بنائها»[٥].

---

(١) فهذا يكاد أن يكون مسلّمًا عند هذا التيار التغريبي الحداثي. ينظر: مدخل إلى التنوير الأوربي، هاشم صالح (ص٢٥٢-٢٥٧).

(٢) ينظر: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، لمحمد أركون (ص٢٥)؛ وتحرير الوعي الإسلامي نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المغلقة، للمؤلف نفسه (ص٩٣).

(٣) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون (ص٢٢١)؛ ونافذة على الإسلام، للمؤلف نفسه (ص٥٧-٥٨).

(٤) ينظر: وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربية المعاصر، محمد الجابري (ص٦١).

(٥) المصدر السابق، (ص٥٠).

وقد حاول الخطاب الحداثي التلاعب بنظرية المقاصد؛ لأنها مَركب يمكن أن يركبه أي أحد، ثم يصل إلى الخروج من عقيدة التمسك بالنص، وقد يطرح التغريبيون هذه الفكرة بعبارات متنوعة، منها على سبيل المثال:

- التمسك بروح الأحكام، وترك عبادة النص[١].
- المصلحة هي التي تحكم وتحدد الوعي النظري[٢]، فيتحول الوحي إلى علم إنساني[٣].
- الشريعة جاءت بمعنى عام يبين الطريق، وليست بمعنى القانون الإلهي[٤].
- إعادة بناء العلوم النقلية الخالصة طبقًا لحاجات العصر[٥].

وسبب الخطأ والضلال في هذا القفز إلى ما وراء النص، أن أصحابها تجاهلوا حقيقة أن المقاصد جاءت متصلة بالنص، لا تنعزل عنه؛ وذلك من جانبين:

الأول: أن المقاصد مستخرجة من النصوص، وإذا كانت بعيدة عن أصلها - أي: النصوص - فإنها ستؤدي إلى نتائج مناقضة لها، ومن ثَمَّ يُهدم الدين.

الثاني: أن البحث عن المصلحة لا يكون إلا بعد استقراء النصوص، والتأكد من عدم وجود نص صريح يبين المصلحة، ويوازن بينها وبين المفسدة.

وقد كان لهذه الأفكار آثار سيئة، تتجلى في صور متعددة، من أهمها: الانسلاخ من الشريعة، بل حتى من العبادات (الشعائر التعبدية)، فمثلا: تجرأ أحدهم بوصف حادثة الإسراء في تخفيض عدد

---

(١) ينظر: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي (ص٦١).

(٢) أي: بعد أن ينتقل مما يسميه (الوعي التاريخي)، ويفهمه بالعقل وبالمصلحة. ينظر: من النص إلى الواقع، حسن حنفي (٢/ ٥٥٦).

(٣) ينظر للاستزادة حول هذا الموضوع: العلمانيون والقرآن، أحمد الطعان (ص٦١٠-٦١٧).

(٤) ينظر: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي (ص٥٩).

(٥) ينظر: التراث والتجديد، حسن حنفي (ص١٩٢).

الصلاة من خمسين إلى خمس صلوات في اليوم والليلة «بأنها ليست جديرة بالاهتمام»[١]، وأدى به فهمه لنظرية المقاصد إلى جواز أداء العبادات، كالصلاة، بغير الكيفيات التي وردت عن النبي ﷺ، يشرّع بذلك أن الإنسان يمكن أن يكون وفيًّا بما أمره دينه دون الالتزام بما قرره السلف – بزعمه[٢].

وهذا الفهم لا يحقق سوى فهم شخصي، كلٌّ بحسب رؤيته، وتصبح الشريعة غير قادرة على ضبط الأحكام، وتفقد ثوابت الدين، ويصبح الأمر في انفلات وفوضى عارمة، ومآل ذلك مدركٌ وواضحٌ.

ومن جهة أخرى إن القول بهذه النظرية وفق هذا الفهم ينقل الأحكام إلى فكرة النسبية المنحرفة، وخصوصًا أن التوظيف نفسه لم يبين مضامينه المعرفية، ولا حدوده، ولا معالمه[٣]، وإنما هو مجرد كلام عام، وهذا يدل على وهن هذه النظرية، وتصادمها مع الدين.

خلاصة الرد:

التغريبيون في طرحهم السابق وقعوا في أمرين:

الأول: أنهم انطلقوا من فلسفة غربية وجعلوها أصلًا، ثم حاكموا النصوص الشرعية إليها.

ثانيًا: أنهم لم يفرِّقوا بين مسائل مختلفة أو مفترقة وجمعوا بينها، مثل:

- جمعهم بين الإسلام والديانات الأخرى.
- جمعهم بين أهل السنة (المنهج السلفي) والطوائف الأخرى.
- جمعهم بين مصادر الوحي وبين العقائد العلمية والعملية والشرائع المبتدعة.

---

(١) الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي (ص٦٢).

(٢) ينظر: المصدر نفسه، (ص٦٣).

(٣) ينظر بحث بعنوان: التداول الحداثي لنظرية المقاصد –دراسة نقدية–، لسلطان العميري (ص٣٨).

فيجب عليهم **أولا**: أن ينطلقوا من يقين صادق، ولا أصدق من الوحي، فمادام أنه قد ثبت صدقه، وأُخضع لوسائل ومناهج كانت غاية في الدقة؛ فلا سبيل إلا التمسكَ به كمنطلق فكري، هذا بدل الانطلاق من فلسفات عقلية لا تسلم من الاعتراضات في بابها العقلي نفسه، فلا يكاد يأتي فيلسوف بفكرة إلا جاء غيره بما ينقضها بفكرة أخرى... فبأي منهما يبدأ؟! ولهذا أصبحت النسبية لازمًا لهم لا يستطيعون الفرار منه، بل سلّموا بها.

وثانيًا: يجب أن يطبقوا على هذه المتناقضات منهجًا علميًّا، وصفيًّا أو جدليًا نقديًا متجردًا؛ ليصلوا للإجابة عن أس المشكلة والأزمة، بدلًا من تطبيق المناهج النقدية الغربية التي جاءت نتاجًا للتحرر من قيود مبتدعة لديانة محرفة، قد ثبت في نص القرآن الصحيح المقدس أنها محرّفة، وأنها ليست من عند الله ﷻ.

وبهذا نلحظ أنهم تجاوزوا أمرين:

الأول: المرحلة التاريخية لهذه المناهج، وخلفياتها، وأسباب نشأتها؛ لمعرفة مدى تطابقها مع العقل أو الفكر الإسلامي، موضعِ النقد عندهم.

الثاني: الحقائق الموجودة في القرآن والسنة التي تثبت عدم سلامة عقائد الأديان التي قبل الإسلام، خاصة النصرانية.

فحين طبَّق نقَّاد الفكر الغربي المنهج الفيلولوجي[1] على نصوصهم فأن لهم ما يبرر ذلك؛ بسبب كثرة الترجمات، وفقدان لغة النص الأصلي، كما كان ذلك سعيًا منهم إلى محاولة القرب من النص الأصلي، وليس لذاته.

---

(١) هو منهج في دراسة النصوص يقوم على أساس فهم اللغة التي كُتب فيها النص، والمقارنة بين مخطوطاته بهدف الوصول إلى النص الأصلي. للاستزادة ينظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس من إشكالية التقنين والتقديس، د. يوسف الكلّام (ص٣٦-٤١).

أما القرآن فلغته ثابتة بالنص والتواتر منذ البعثة، فلا مجال حينئذ إلا التسليم بأوامره وأحكامه، وهو ما يؤكده المنهج العلمي المنصف المنضبط.

ومن جهة الطوائف المخالفة للمنهج التأصيلي المتمسك بالنص الصحيح وفهم الصحابة ومن تبعهم، يلحظ من تفحص تاريخها الفكري أنها خلّفت آثارًا تسببت في أزمات مختلفة ومتنوعة في جميع الجوانب، ومن حاول تصحيحها أو نقدها فإنه سيسلك طرقًا ثلاثة:

الطريق الأول: أن يرجع إلى المصدر الأصلي بفهم الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن سلك منهجهم، وهذا الطريق يعتمد على منهج التثبت من سلامة النص من التحريف والكذب.

الطريق الثاني: أن يسلك منهجًا عقليًّا بحثيًّا، صادقًا وجادًّا، وهذا قد يوصله إلى نتائج صحيحة من جوانب معينة أو ضيقة، كأن يلغي أو ينتقد عقيدة التثليث[1]، ولكن لا يصل إلى الحقائق الكاملة، ويبقى في حاجة إلى سلامة النص التي تتفق مع نتائجه العقلية؛ لكي تصل به إلى الحقائق الكاملة المسطرة في نصوص الوحي التي هي من عند الله العزيز الحكيم.

الطريق الثالث: أن ينطلق في النقد بخلفية وعقيدة خاطئة، وهذه الطريقة لا تصل إلى نتائج صحيحة؛ لأنها غالبًا ما تكون بطابع متعصب ليس على حق، بل على تناقضات في الغالب.

أما جانب التفريق بين مصادر الوحي وبين العقائد المستجدة فيعد ضرورة وخطوة صحيحة في الإصلاح؛ لأن المصدر – أي: القرآن – متفق عليه بالإجماع المعتبر، أما ما يقابله من تشغيب فلا يَحْمِلُ دليلًا علميًّا ينقله من دعوى بلا دليل إلى دليل معتبر.

---

(١) كما حصل لطائفة من الباحثين الغربيين ينظر إلى نماذج من ذلك: المسيحية والإسلام دين واحد وشرائع شتى للدكتورة. لينه الحمصي، ص٢٩٧-٣٠١.

ثانيًا: المجال الاجتماعي:

من صوره ظهور حركات الحرية والإباحية، وبروز مظاهر الانحلال، وانتشار الفواحش والزنا، والتفكك الأسري، يساعدهم في ذلك التيار العصراني الإسلامي بفتوى شاذة، كالقول بجواز الأغاني والموسيقى[١]، وجواز الاختلاط، وجواز تهنئة الكفار بأعيادهم[٢].

وعلاقة هذه الفتاوى بظهور وفشو الانحراف من جهتين:

الأولى: من جهة أنها فتحت الباب لانتشار التغريب، وسَهَّلت الطريق له، أو في أقل أحوالها قرّبت الفجوة أو هونت من أمره.

الثانية: أنها وقعت في الخطأ، أو في أقل أحوالها أسقطت العمل بالنصوص، والقاعدة أن من ترك السنة وقع في البدعة.

ثالثًا: المجال الاقتصادي:

ومن صوره ظهور النظام الرأسمالي الغربي، أو النظام الاشتراكي الشرقي في البلاد الإسلامية التي كانت محتلة متأثرة بها.

رابعًا: المجال التشريعي:

ويظهر في كثير من الدول التي أقرّت كثيرًا من المفاهيم الغربية، ومنها: العمل بتحكيم القوانيين الوضعية على النمط الغربي[٣].

---

(١)ينظر على سبيل المثال: الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي (ص٢٨٩).

(٢) ينظر على سبيل المثال: موجبات تغير الفتوى في عصرنا، يوسف القرضاوي (ص٤١-٩٥، ٨٦)؛ والمرأة بين القرآن الكريم وواقع المسلمين، راشد الغنوشي (ص١٠٥-٢١٦).

(٣) ينظر: دراسات في المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة (ص٧٥).

المبحث الثالث: موقف التغريبيين من قضايا المرأة المسلمة.

تعتبر قضية المرأة من أهم القضايا التي اهتم بها الغرب كثيرًا، وسعوا إلى نشرها في المجتمعات الإسلامية، والرؤية الغربية للمرأة تدور حول الأسس الآتية:

الأساس الأول: الحريّة المطلقة، أو الفوضوية، بلا ضابط أخلاقي، ولا قيد مجتمعي، فلها الحرية أن تفعل كل ما تشاء، فلا رقابة أسرية، ولا ولاية أبوية، ولا قوامة زوجية.

الأساس الثاني: المساواة المطلقة، متجاوزة الفوارق الخَلقية بين الرجل والمرأة.

الأساس الثالث: إقصاء الدين وأحكامه على واقع المرأة والمجتمع.

وهذه الرؤية ظالمة ومدمّرة للمجتمعات، وعواقبها خطيرة جدًا، وبيان ذلك على النحو الآتي:

١- أن الحرية المطلقة نتج عنها الفوضى الجنسية، وتفكك الأسر، والعزوف عن الزواج؛ لاستغنائهم بالعلاقات المحرمة عنه، وحتى بعد الزواج، فإن آثار هذه الفوضى تسببت بكثرة الطلاق والخيانات الزوجية، وانتشار جرائم الاغتصاب والتحرش في أماكن العمل، وقد عُمِل إحصاء لجرائم الاغتصاب في الولايات المتحدة عام (١٩٩٧ م)، فكانت النتيجة أنه في كل ست ثوان تسجل حالة اغتصاب.

٢- أما المساواة، فهذا فيه تجاهل لعمل المرأة الحقيقي والأهم، وهو مكوثها في بيت زوجها ورعاية أولادها، وفيه أيضًا عدم مراعاة طبيعة المرأة.

قد اقتبس هذه الرؤية التغريبيون، على اختلاف في درجات غلوهم فيها، وقد تقدم كلام (رفاعة الطهطاوي) في كتاب (المرشد الأمين)، حيث طالب باشتراك واختلاط البنات مع البنين في الدراسة.

وكانت بداية ظهور الدعوة إلى السفور أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك عبر حركة تحرير المرأة، التي تدعو إلى تحرير المرأة من الآداب والأحكام الشرعية، ففي عام (١٩٨٨ م) ألّف (قاسم أمين) كتابه (تحرير المرأة)، وأثار الشبهات والمغالطات حول النصوص الشرعية المتعلقة

بالمرأة، ولا زالت الهجمات مستمرة إلى زمننا هذا[١]، بل بعضهم[٢] يدعو إلى الدياثة علنًا في أحد اللقاءات على القنوات الفضائية؛ فيجيز تقبيل الشاب للفتاة، وحين سأله المذيع، هل تقبل هذا على أحد محارمك؟ فأجاب بنعم، أقبل ذلك أمام الملأ بدون حياء[٣]، كما تأول الحجاب، وجعله محصورًا في معنى الحاجز الذي يستر الحجرة، وليس كما هو في أقوال العلماء المعروفة، وتأول كل النصوص الأخرى[٤].

(١) ينظر على سبيل المثال: كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة، لعبد الحليم محمد أبو شقة، فقد سار على خطى قاسم أمين، حيث يؤصل للانحرافات المعاصرة، فيلبس على الناس باسم الدين. ينظر للاستزادة في الرد عليه: كتاب تحرير المرأة عند العصرانيين - كتاب (تحرير المرأة في عصر الرسالة) أنموذجا، د. عادل الحمد، موسوعة المذاهب الفكرية (ص٤٤٦-٤٦٥).

(٢) وهو (جمال البنا).

(٣) ينظر مقطع على اليوتيوب بعنوان: (جمال البنا: ايه يعني شاب يبوس بنتي/ المذيع: انت ديوث) تاريخ الزيارة: (٢٩-٧-١٤٤٣هـ).

(٤) وقد صرح بذلك على قنوات فضائية. ينظر إلى مقطع منها على اليوتيوب بعنوان: (الحجاب بدعة) تاريخ الزيارة: (٢٩-٧-١٤٤٣هـ).

المبحث الرابع: سبل مواجهة التغريب.

اتضح فيما سبق خطر التغريب في تذويب هوية الإسلام وقيَّمه، فمن الضروري التصدي له، وذلك عبر السبل الآتية:

١- بيان الموقف الشرعي لما يطرحه التغريبيون من أفكار، وذلك عبر الأبحاث والدراسات، سواء الصادرة من الجامعات أو غيرها.

٢- بيان زيف الدعاوى التغريبية، بالرد العلمي، والتركيز على الأسس التي قامت عليها، وإيضاح أن التغريب والتحديث ضدان، وليسا - كما يزعم التغريبيون - قرينين[1]، فالإسلام لا يمنع العلم الذي ينفع في مجال التصنيع.

٣- في الرد على التغريبيين، لا بد من إيضاح أمور منها:

الأمر الأول: أن الإسلام لا يرفض كل ما عند الغرب من علوم نافعة وصناعات مفيدة، ومخترعات حديثة، ووسائل تقنية.

الأمر الثاني: لا ننكر أنه في بعض الأفكار -وليس كلها- قد تتحقق مصالحُ ومنافع لمن أقام العقل والتجربة في جوانب مختلفة، سواء أكانت اقتصادية، أم سياسية، أم اجتماعية، وذلك بدلاً من الشريعة، بيد أن هذا النفع قاصر ومحدود من أوجه عدة منها:

- أن النفع في الدنيا فقط دون الآخرة.
- أن النفع الذي قد يتحقق في الغالب يقترن معه ضرر من جانب آخر، فيكون ضرُّه أقرب من نفعه، فمثلًا: في قضية الرّبا قد يحصل للمرابي نفع في الظاهر، ولكن في الحقيقة يفسد على أشخاص آخرين، ومن جهة أخرى أن الله ﷻ لا يبارك له، بل ويمحق رزقه، وتكون عاقبته

---

(١) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية (ص٣٨٨).

خسرانًا، وكذلك في الخمر وبيعه، فقد يحصل لمن يبيعه النفع المالي، في حين يحصل فساد لآخرين بوجوه مختلفة[١]، كازدياد ثروة الأغنياء على حساب الفقراء[٢].

فهو نفع نسبي، يكون في فترة زمنية تاريخية لها ظروفها، ثم تتغير الظروف، ويصبح لا قيمة له، كما يظهر هذا أيضا في النظريات الاجتماعية والسياسية التي جاء بها الغرب[٣].

- إن أصل هذا النفع الموجود بمقدار حجمه راجع إلى بقايا رسالات الأنبياء عليهم السلام.

فالخلاصة:

إن بعض الأفكار التي يطرحها الغرب يكون فيها نفع، لكن لا يخرج عن الحالات الآتية:

- نفع يصاحبه ضرر.

---

(١) ويعاني الآن الغرب عمومًا من أزمات مالية دفعت كثيرين إلى القيام بمظاهرات احتجاجية ضد الرأسمالية، وكانت هذه الأزمات قد بلغت ذِرْوتها في ثلاث فترات (١٨٧٣م، ١٩٢٩م، ٢٠٠٨م)، إذ بدأت تندلع مظاهرات في أنحاء واسعة من العالم ضد الرأسمالية، في (ألمانيا، والولايات المتحدة، وبريطانيا، ونيوزيلندا، وأستراليا، وإيطاليا، وأسبانيا)، والأزمات جاءت بأشكال متنوعة: في المصرفية، والعملة، وأسعار الصرف، وأسواق الأوراق المالية، كما نشرتها وسائل الإعلام المختلفة. ينظر: خبر في جريدة الجزيرة منقولًا من وكالات عالمية، بعنوان: (إحراق مبنى وزارة الدفاع الإيطالية... (مظاهرات في أنحاء واسعة من العالم ضدّ الرأسمالية) في (تاريخ ١٨/ ذي القعدة/ ١٤٣٢هـ الموافق ١٦/ تشرين الأول/ ٢٠١١م)، العدد (١٤٢٦٢)؛ وينظر: عالم الفقراء الجدد، خالد غسان المقدادي (ص٧٤)؛ والأزمة المالية المعاصرة (تقدير اقتصادي إسلامي) د. عمر يوسف عبد الله عبابنة (ص ٢٢-٢٦).

(٢) ينظر للاستزادة: مخاطر العولمة، روبرت إسحاق، ص١٥-٣٣.

(٣) ينظر على سبيل المثال لكلام أحد علمائهم المعاصرين، وهو (ألفن جولدنر)، حيث يقول: «تشير قراءتي للحالة الراديكالية المعاصرة إلى أننا نعيش الآن فترة انتقالية غير محددة المعالم، حيث ظهر جيل من الشباب له بناء عواطف مختلف بصورة حادة، وبمشاعر جمعية لا يمكن أن تدرك بواسطة أنواع مختلفة تمامًا من العواطف التي ترسبت تاريخيًّا في النظريات القديمة، وذلك يجعل بعضًا من جيل الشباب إما غير مهتم ببرود بالنظريات القديمة، أو رافضا لها بصورة ساخنة» الأزمة القادة لعلم الاجتماع، ترجمة وتقديم: علي ليلة (ص٤٨).

- أو نفع نسبي ومحدود.
- أو أنه من بقايا رسالات الأنبياء ﷺ.

الأمر الثالث: إن مسألة تحديد مفهوم الصلاح لا تنضبط إلا بالشرع، أما إذا خضع إلى العقل المجرد، أو إلى الهوى فإنه لا ينضبط، فقد يكون في ظاهرِ عملٍ ما فسادٌ، ولكن في حقيقته ليس فسادًا، بل يمثل مصلحة، كما لو قطع الحاكم يد السارق، فإن في ظاهره ضرر على السارق، ولكن تحصل منه فائدة أعم في ردعه وردع غيره، وقس ذلك على غيره من الأحكام.

٤- البحث عن السبل أو البدائل الجديدة في نشر منهج السلف، وإبراز محاسنه، خاصة مع الانفتاح الكبير الذي نعيشه، وازدياد جهود الأعداء في تشويه صورته بمختلف الطرق.

٥- إقامة دورات مختصرة للطلبة المبتعثين؛ لتوعيتهم بمخاطر التغريب وتوجيه أهدافهم بما يخدم دينهم ووطنهم، وتوعيتهم بالمنهج الوسط، البعيد عن الإفراط والتفريط، ومتابعتهم أثناء ابتعاثهم وإقامة الندوات والمحاضرات لتوعيتهم، وحث الدعاة المخلصين للتواصل معهم.

٦- توضيح المفاهيم والمصطلحات الحادثة، وتفصيل الحكم فيها، وربطها بمفهوم الإيمان والبدعة.

هذا باختصار، وبه أنتهي من كتابته في يوم الأربعاء الموافق للتاسع والعشرين من شهر رجب لعام ألف وأربعمئة وثلاث وأربعين، راجيا من الله القبول والنفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

د. طارق بن سعيد القحطاني

المدينة النبوية

❊❊❊

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٣
خطة البحث ٤
الباب الأول: مقدمات في المذاهب المعاصرة وأسباب نشأتها وتاريخها وآثارها السيئة والمؤلفات المعاصرة فيها. ٧
الفصل الأول: التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة، وسبب تسميتها. ٨
المبحث الأول: التعريف بالمذاهب والتيارات المعاصرة. ٩
المبحث الثاني: سبب التسمية. ١٠
الفصل الثاني: أسباب نشأة المذاهب والتيارات المعاصرة. ١١
الفصل الثالث: تاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي، وأسباب ذلك، والمؤلفات في دراستها. ١٣
المبحث الأول: تاريخ انتقالها إلى العالم الإسلامي، وأسباب ذلك. ١٤
المبحث الثاني: أهم المؤلفات في دراسة المذاهب والتيارات الفكرية. ١٦
الفصل الرابع: الآثار السيئة للمذاهب الفكرية والتيارات المعاصرة. ١٧
الباب الثاني: الأساليب المعاصرة في نشر الأفكار والمذاهب المخالفة للإسلام. ١٩
الفصل الأول: الغزو الفكري. ٢٠
المبحث الأول: مفهوم الغزو الفكري. ٢١
المبحث الثاني: أهداف الغزو الفكري، ومظاهره، ومجالاته. ٢٢
المبحث الثالث: وسائل الغزو الفكري، وأدواته. ٢٥
المبحث الرابع: آثار الغزو الفكري، وخطورته. ٢٦
المبحث الخامس: سبل مواجهة الغزو الفكري. ٢٧
الفصل الثاني: التنصير. ٣٥
المبحث الأول: مفهوم التنصير وصلته بالاحتلال. ٣٦
المبحث الثاني: تاريخ التنصير وأهدافه. ٣٨
المبحث الثالث: وسائل التنصير القديمة والمعاصرة، ومجالات المنصرين. ٤٢
المبحث الرابع: واقع التنصير في دول العالم الإسلامي. ٤٤
المبحث الخامس: سبل مواجهة التنصير المعاصر. ٤٥

الفصل الثالث: الاستشراق. ٤٧
المبحث الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته، وأشهر رجاله. ٤٨
المبحث الثاني: أهداف الاستشراق. ٥٥
المبحث الثالث: وسائل الاستشراق المعاصر، ومراكزه. ٥٦
المبحث الرابع: نماذج من افتراءات المستشرقين، والرد عليها. ٥٩
المبحث الخامس: سبل مواجهة الاستشراق المعاصر. ٦٩
الفصل الرابع: التغريب. ٧٠
المبحث الأول: مفهوم التغريب ونشأته، وأهدافه، ووسائله. ٧١
المبحث الثاني: نماذج من صور التغريب المعاصرة في العالم الإسلامي، والرد عليها. ٨١
المبحث الثالث: موقف التغريبيين من قضايا المرأة المسلمة. ٨٩
المبحث الرابع: سبل مواجهة التغريب. ٩١
فهرس الموضوعات..... ٩٤